٤١

مجلة
روايات أحلام

شفاه لا تعتذر

www.elromancia.com
مرمورية

مجلة روايات أحلام

شفاه لا تعتذر

هل عاش وايد تيرانت رجل الأعمال الشهير منذ سنوات في كذبة؟ هل خطر على باله أن وراء مظهر سكرتيرته العانس، الوقور، الحازمة امرأة فاتنة جمالها يأسر قلوب الرجال؟

وكيف له أن يعرف وقد اتخذت لورنا كل الاحتياطات ونجحت في عملها بتفوق؟

استمرت اللعبة حتى كانت ليلة التقى فيها وايد تيرانت امرأة عابثة تلاعبت بكل القلوب بما فيها قلبه ثم اختفت كسندريلا دون أن تترك أثراً، أو هذا ما ظنته. لكن ألا يقولون إن غلطة الشاطر بالف.

www.elromancia.com

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦د.	مصر ٤ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١,٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق

١ ـ امرأة يريدها

صبيحة عيد ميلادها الثلاثين، وقفت لورنا هاركوت تتأمل صورتها الحزينة في المرآة. كان هناك خطوط خفيفة حول فمها وحول عينيها. حين رفعت حاجبيها ظهر المزيد من الخطوط على جبينها.. بل كان هناك.. ومالت إلى الأمام.. اوه.. يا الله! شعرات رمادية مختبئة بين موجات شعرها الأصهب الأحمر المنسدل على كتفيها، تلهفت أصابعها لانتزاع تلك الشعرات، لكنها ارتدّت عنها بعناد. ستتركها حتى تذكرها بأنها أصبحت الآن امرأة ناضجة على شفا المنحدر الآخر المتجه بها إلى أواسط العمر.

ربما بعض الناس يعتقد أنها خطت الآن خطوة إلى ربيع العمر، هزئت من هذا الإحساس الفارغ بالكآبة، فعليها أن تنظر إلى الجانب المشرق.. فبسبب بشرتها البيضاء العاجية الحساسة التي تحترق بسرعة، كانت دائماً تحمي نفسها من الشمس، لذلك فإن بشرتها ما تزال نظيفة رائعة مرنة. وجسدها الممتد إلى المئة والثمانية والستين سنتيمتراً، ما زال يحافظ على النحافة المطلوبة لحياة نشيطة. أما أسنانها فما زالت موجودة جميعها وأما صحتها فرائعة. فما تطلب امرأة من الحياة أكثر من هذا؟

عندما عادت بالذاكرة سريعاً إلى السنوات الست الماضية وجدت أنها ما تزال على حالها، لكنها تساءلت عما تخبىء لها السنوات الست القادمة يا ترى؟ روبرت؟.. وتنهدت ثم نهضت عن مقعدها

أمام طاولة الزينة وارتدت الملابس التي وضعتها على السرير الضيق. روبير لطيف، ورقيق مع الأطفال.. لكنه محدود الأفق. ولو حقق ما يريد لاكتفت بالهدوء إلى جانبه، قانعة بدور الزوجة والأم.. لكنها تعلم أنها لا تريد هذا، فهي ليست هادئة.. داخلياً على الأقل... تريد أن تتمسك بالحياة وهي تنساب من بين أصابعها بعناد.. كما تريد أن تعيش حياتها كاملة، بمرح وسعادة وإثارة... ولن تجد هذا مع روبير.. فهو عملي جداً.. ومتعقل جداً.. ويعتقد أنها مثله. لكن الزواج منه أمر محض عملي.. فهي تحس بميل عميق له، وهو يبادلها ميلها هذا. فإذا تزوجته نسيت كل قلق يصيبها بشأن المال. لكن هناك ثمن يجب أن تدفعه خارج إطار المال.. ستضطر للتخلي عن أحلامها، عن الأمل الذي ترعاه بأن تقع ثانية في حب عاصف كما حدث في ما مضى.

ـ لورنا!

تعالت الصيحة الخشنة من الدرج.. فردت لورنا:

ـ قادمة إيڤور.

ملست بسرعة بذلتها الكحلية، وجلست ثانية أمام المرآة، وتمتمت لنفسها: ها قد بدأنا مجدداً! وضعت بسرعة مسحوقاً أغمق قليلاً من لون بشرتها، لتغطي النمش الخفيف الذي هزم سنوات المراهقة رغم الليمون الحامض وطعام الشوفان، وكان أحمر الشفاه خفيفاً كذلك، ثم لم تلبث أن أبعدت خصلات شعرها الحمراء القاتمة عن وجهها وعقدته خلف عنقها.. كانت حين تترك شعرها مسترسلاً يضاء وجهها البيضاوي بذبذبات نور.. لكن حين ترجع خصلاتها النارية إلى الوراء يصبح كل شيء مظلماً إلا عينيها.

التقطت النظارة التي هي بغنى عنها ووضعتها فوق أنفها الصغير المستقيم. لون الزجاج الرمادي غيّر لون عينيها، والإطار السميك أبعد أي أثر للمرح عن وجهها. فابتسمت لنفسها:

ـ وداعاً مدام تورڤيل.. وصباح الخير آنسة هاركوت.

منذ ثلاث سنوات، وهي تمثل الدور نفسه صباح كل يوم عمل، تقلب نفسها من امرأة متقدة الجاذبية إلى آلة مكتب مصقولة معدّة كل الإعداد.

جعلتها صيحة أخرى تمسك حقيبتها وتسرع نازلة الدرجات الضيقة، فالمنزل رغم اتساعه كان في قسم ضيق، حاله حال أبنية الحي كله. وهي أبنية منفصلة ذات شرفات مستقلة، مدموغة بتقلبات الطقس وهي كلها قديمة، لكن معظمها، مثل منزل لورنا، مصانة تماماً ومثابرة على يد مالكيها.

عندما اقتربت من المطبخ تناهت إليها رائحة «الكرواسان» اللذيذة. تقدمت لورنا من الرجل القصير البدين الواقف قرب الفرن فقبلته:

ـ صباح الخير إيڤور. لِمَ الصراخ، أنا أعرف الوقت تماماً.

جاءها الرد المتجهم بإنكليزية لكنتها خفيفة:

ـ لماذا تتأخرين إذن دائماً؟ لولا منبهاك الكبيران لما خرجت من هنا في الصباح، لقد بردت قهوتك.

جلست لورنا بطاعة على طاولة المطبخ وراحت ترتشف القهوة مع الحليب.

ـ لم أسمع النداءات هذا الصباح.. أين هما؟

التفت إيڤور تورڤيل إلى وجه كنته مبتسماً. أعلمها اللمعان في العينين البنيتين أنها لم تخدعه بإظهارها اللامبالاة.. فهي مستاءة لأن أحداً لم يتمنَ لها بعد ميلاداً سعيداً.. لكن إيڤور عاد إلى الفرن فأخرج صينية «كرواسان» ثم وضعها على طبق فوق الطاولة أمامها.

إيڤور، رجل في الخمسينات من عمره. أمضى حياته في الترحال من بلد إلى آخر لكنه حين احتاجته لورنا، وجدته معها أهلاً للثقة، وبسبب إصابته في ركبته، لم يعد باستطاعته العمل أو السفر، فاستلم

www.elromancia.com

زمام إدارة المنزل، وراح يرعى حفيديه. ولقد توقفت لورنا منذ زمن عن الإحساس بالذنب للدور المقلوب الذي يمارسانه.. فقد أدركت منذ البداية أن إيفور يعيش في محيطه الطبيعي وهو يقوم بواجباته المنزلية يمارس سحره الفرنسي أمام الزوجات الإنكليزيات في السوبرماركت.

أمسكت لورنا بالملعقة لتتناول قليلاً من مربى الخوخ.. وبدلاً من أن تخرج الملعقة مليئة بالمربى الأحمر، وجدت لفافة من الورق المذهب:

- هاي.. ما هذا؟

- ميلاد سعيد ماما!

وخرج طفلان ضاحكان من وراء باب المطبخ، وكادا يخنقانها بين أحضانهما، فقالت مازحة:

- كنت أتساءل متى سيتذكر عيدي أحد؟ أهذا نوع جديد من المربى؟

- لا إنه هدية!

كان الصوتان يتكلمان معاً، وكان زوجان من العيون البنية يتراقصان وهما يراقبان تأملها اللفافة. هزتها قريباً من أذنها.

- ماذا فيها؟

رد أحد الصبيين:

- احزري؟

فقاطعه الآخر:

- لا.. لا تحزري.. افتحيها.

- ألا أستحق قبلة إضافة إلى العناق.

كان فرنسوا كالعادة البادىء، بينما انتظر ريشار دوره بصبر، وهو يقول لها بوقار:

- في الحقيقة يجب أن نعطيك ثلاثين قبلة، لكن هذا سيستغرق

وقتاً طويلاً.

ضحكت لورنا ثم لم تلبث أن تلقت قبلة أخرى من إيفور:

- أعرف أنني كبرت في السن، فلا تذكرني به.

رد فرنسوا:

- لست كبيرة.. والدة بيل كريدون في الخامسة والثلاثين.

ردت لورنا ساخرة:

- يا إلهي.. أصبحت قدمها في القبر إذن.

لكنها أحست بالندم ذلك أنها شاهدت الصبيان يتبادلان النظرات ضاحكين، ولا شك في أنهما سيكرران ملاحظتها أمام بيل الذي بدوره سيكررها أمام أمه، فالأطفال في السادسة صريحون لا يستطيعون كتم ما في صدورهم وهذا ما اكتشفته أكثر من مرة.

- هيا أمي افتحيها!

فتحت لورنا اللفافة متذكرة ما أهدياها إياه في العام الماضي، وهي مزهرية أعداها في الصف. كانت لورنا في أوقات كهذه، تتوق إلى جاك لتشاركه لذة الأبوة. لكن جاك، لم يكد يعرف ولديه، فقد أصيب في حادث سيارة بعد ولادتهما بشهرين ومات بعد بضعة أسابيع دون أن يسترد وعيه.. لقد خفّ الآن ألمها وأصبح توقاً لطيفاً، لكن أكثر ما يحز في نفسها أنه لم يعرف أن ولديه وهما في السادسة يشبهانه كثيراً، فلهما لون شعره البني القاتم ولون عينيه كما لهما جسدان قويان صغيران، فيهما حب وعاطفة صادقان. لكن فرنسوا يشبه أباه بشخصيته أكثر من ريشار، فهو سعيد، يتوق إلى كل جديد، وهو إلى ذلك في منتهى الذكاء. لكن ريشار كان أكثر تحفظاً، وأعمق تفكيراً، دون أن يكون أقل إرادة على المشاركة في الأذى والمشاكل مع أخيه.

فتحت لورنا العلبة الصغيرة فانكشف لها عن قرط ناعم أنيق.. له أزهار صغيرة زرقاء رائعة الصنع. وكانت لورنا قد تاقت منذ أسابيع

www.elromancia.com

إلى تبديل القرط المذهب بمثل هذا القرط الناعم الأنيق:

- يا حبيبيّ.. إنه جميل.

- ساعدنا جدنا.. فنحن لم ندخّر المال الكافي.. إلا أننا اخترناه بأنفسنا.

- إنه جميل جداً، وهو ما أريده تماماً.. إنها أفضل هدية ميلاد تلقيتها.

قال فرنسوا:

- ولا تنسي قالب الحلوى.. سنأكل الحلوى الليلة.. جدي صنع...

وأطبقت يد ريشار على فم أخيه الذي كاد يفضح السرّ، فقالت لورنا:

- لن أنسى.. لكنني لن أتناول العشاء معكم، فسأخرج مع عمكم روبير إلى العشاء.. لكنني سأعود لتناول القليل من الحلوى اللذيذة. والآن أسرعا في تناول فطوركما لئلا تتأخرا على المدرسة.

نظر إيڤور إلى ساعة المطبخ:

- لا أظنهما سيتأخران، أتعجب أحياناً من محافظتك على وظيفتك، وأنت على هذه الدرجة من الفوضى في المنزل.

- هذا لأنني أعرف أنني أستطيع الاعتماد عليك هنا.. فأنا منظمة جداً في المكتب لذا أتوق إلى الراحة هنا... وداعاً. نهار سعيد.

- أورڤوار ماما.

وبدأ الولدان يتشاجران بالفرنسية بشأن من سيحتل جهة النافذة في باص المدرسة.. كانت لورنا مذهولة دائماً من قدرتهما على الانتقال من التحدث بالإنكليزية إلى التحدث بالفرنسية، بهذه السهولة، والعكس بالعكس. نعم هي تتحدث الفرنسية، إلا أنها تحتاج إلى تحضير نفسي لتنتقل من لغة إلى أخرى. كان وما زال جدهما إيڤور، يتحدث إليهما بالفرنسية، وهو يدرك أن التوأمين حين يدخلان

المدرسة، سيفقدان شيئاً من ثنائيتهما اللغوية.

كان جاك دون شك سيجزع لو عرف مدى المشاكل التي خلفها وراءه.. لقد وقعت الحادثة وهو في طريقه إلى ويلز، لكن شركة التأمين رفضت دفع فاتورة الاستشفاء الطائلة لأن الدلائل أشارت إلى أنه كان سكران فكان أن ذهبت كل مدخراتهم على الاستشفاء والجنازة والتنقلات خلال الأسابيع التي بقيت فيها في ويلز... وكانت معجزة حين ظهر إيڤور إلى جانبها، وهي في مدينة لا تعرفها ومعها توأمان صغيران وبين يديها زوج يحتضر. لم تكن قد التقته من قبل لأنه كان وابنه متباعدين منذ وفاة والدة جاك، فقد كان في سفر دائم.. لكنه فجأة وصل ليؤازرها ويساندها في حزنها. لكنه لسوء الحظ لم يستطع دعمها مالياً، فاضطرت إلى بيع المنزل والسيارة، لتسدّد حساب المستشفى.. مع ذلك فقد بقي لها ما يكفي حتى تعود إلى لندن. فقد أعانتها دفعات الإنعاش الاجتماعي على تسديد مصاريف الحياة اليومية، لكنها كانت تريد لطفليها مزيداً من الرخاء.

رافقها إيڤور إلى لندن، وساعدها مالياً بعض الشيء حين عمل في وظيفة مؤقتة وقد أحب انكلترا ولندن بشكل خاص، ولم يكن لديه سبب يدعوه للعودة إلى بلاده في فرنسا. لكن لورنا أحست أن من الظلم أن ترمي، على كاهل رجل كبير في السن لا يقدر على العمل، كلَّ هذا الحمل الثقيل.. وما إن أصبح عمر الولدين سنتين حتى كانا قد اتفقا على كل شيء.. على لورنا أن تعمل وعلى إيڤور رعاية المنزل والولدين. أرادت أن تطلب أجراً مرتفعاً لتقوم بمهام السكرتيرة فقد كانت قبل زواجها سكرتيرة من الطراز الأول. ولم يكن لها ما تريد من أجر حتى استلمت وظيفتها الأخيرة وعندها تحسنت الأمور بشكل ظاهر، وفي الوقت نفسه، ربحت «ورقة يانصيب»، «لوترى»، فاستطاعت عندئذ تسديد القسط الأول للمنزل الذي تسكنه الآن، لكن لم يتم لها شراءه، إلا بعد أن عانت الأمرين من التنقل من مصرف

إلى آخر، حتى وجدت من يرغب في إقراض أرملة عاملة ثمنه وتقسيطه لها دفعات شهرية. لكن الديون كلها كادت تنتهي وهناك نور في آخر النفق المظلم الطويل الذي مرت به، فبعد أشهر قليلة ستسدد الدفعة الأخيرة وعندها ستفكر في شراء سيارة.

ناداها حارس المبنى وهي تجتاز بهو «الامباير» الواقع في شارع تجاري:

ـ صباح الخير آنسة هاركوت.

أوقفت لورنا سيرها لتسأله:

ـ كيف حال حفيدتك الجديدة؟

ـ إنها رائعة.. سنعمدّها يوم السبت، وسنسميها سارة.

ضحكت لورنا، ففكر الحارس، أن من العيب ألا تضحك الآنسة هاركوت دائماً، إنها فعلاً سيدة، ويجب أن تكون زوجة وأماً لتضحك مع أولادها، بدلاً من العمل كجارية عند ذلك الشيطان المتعجرف في الطابق العاشر.

ـ لقد عاد رب عملك. مرّ من هنا كالبرق الأزرق منذ أقل من نصف ساعة.

فابتسمت له:

ـ يا الهي.. لقد انتهت إجازتي إذن.

واتجهت بسرعة إلى المصعد، فقد غاب وايد تيرانت ثلاثة أيام، وجدت فيها فرصة لالتقاط أنفاسها. ما كادت تجلس إلى مكتبها حتى رن جرس الهاتف الداخلي:

ـ هل وصلت آنسة هاركوت؟

ـ أجل سيد تيرانت.

التقطت قلماً ودفتراً، ثم دخلت إلى المكتب الداخلي دون أن تقرع الباب. حجم هذه الغرفة يوازي ضعفي حجم غرفتها وهي مفروشة بالألوان الرمادية والزرقاء.

تحتل شركة تيرانت للتجارة العامة، أربعة طوابق من مبنى الامباير، بمكاتبها، ووكالاتها المختلفة.. لكن عند هذا المكتب يقف أي نشاط آخر.. وهذا هو الرجل الذي يوقفه.

لم يرفع رأسه إليها عندما أحس بها تدخل، بل أبقى رأسه الأسود منحنياً فوق تقرير على مكتبه:

ـ لقد تأخرت.

في كلامه إثبات أمر واقع، لا اتهام، وهو مخطىء. لكن لورنا لم تزعج نفسها في تصحيح خطئه. فالساعة لم تتجاوز حتى الآن الثامنة وخمس وأربعين دقيقة، وعملها يجب ألا يبدأ قبل التاسعة.. لكنها عادة تصل إلى المكتب قبل رئيسها، وبما أن وايد تيرانت يعتقد أن عالمها كله متعلق به فمن الطبيعي أن يقع في مثل هذا الخطأ... سألها، وأنفه المعقوف بعدوانية ما يزال مدفوناً في التقرير أمامه:

ـ أين ستيفن؟

أنفه هذا هو الذي يقف بينه وبين الوسامة فسائر أجزاء وجهه جذابة بشكل لا يُنكر. وهو بالنسبة للنساء مدمّر. كانت تحس بالأسف الحقيقي على من يتجاهل رفعة أنفه التحذيرية تلك، ويقع في حبائل وسامة قسماته الأخرى، لأنه سيعيش ليندم على غلطته.

ـ لست أدري.. فلقد وصلت منذ برهة.

لم تكد تتفوه بهذا حتى صاح:

ـ ابحثي عنه.

توقع الأدب منه كتوقع طيران الفيلة.. عادت إلى طاولتها، واتصلت بالمكتب في الطابق الآخر.

ـ صباح الخير جانيس.. هل السيد شاو هنا؟

ـ لم يصل بعد.

نقلت لورنا المعلومة إلى رئيسها، فشخر غاضباً.

جلست لورنا هادئة تنتظر وتراقب... ركزت عينيها على فوديه

www.elromancia.com

اللذين خالطهما الشيب ثم راحت تتأمل صاحب هذا الجسد القوي الذي يخشاه العديد من الناس حتى الرجال منهم. هو في الخامسة والثلاثين من عمره... عيناه زرقاوان قد تبردان بركاناً ثائراً... أحست بالامتنان لأنها لم تشعر قط بأي اهتمام شخصي بهذا الرجل. فهي تعرفه معرفة جيدة تجعلها لا تقع في فخ جاذبيته الذي تقع فيه النساء.

لكنها تفهم أسباب أخلاقه الصعبة القاسية، فوايد تيرانت وصل إلى القمة مجتازاً طريقاً في غاية الوعورة.. فقد تخلى عنه الجميع وهو في الرابعة عشرة من عمره فكان أن قضى عدة أعوام في الشوارع قبل أن يشق طريقه إلى وظيفة كانت أساس ثراءه الحالي، فكرت لورنا وهي تضحك داخلياً: الرئيس كسكرتيرته.

ـ صباح الخير آنسة هاركوت.. صباح الخير وايد.

التفتت لورنا لتحني رأسها للعملاق الأشقر الأزرق العينين الذي دخل الغرفة. قال الرجل الجالس وراء المكتب بعد أن رفع رأسه:

ـ ألا تظن أن ميزانية عمولات قسم الملبوسات تضاءلت؟

هز ستيفن شاو كتفيه الرياضيين وجلس قرب لورنا، إنه يد وايد اليمنى وروحه المرحة تخبىء ذكاء غريباً.

ـ كما تقول يا ريس.

رنا بطرفه إلى لورنا مبتسماً.. فالجميع ينادي وايد رغم شخصيته المخيفة بلقب الريس.. والجميع مسرور بالعمل عنده.

أردف ستيفن:

ـ لقد اشتقنا إليك.. لو غبت يومين آخرين لتوقف العمل.

ـ أشك في هذا، فالآنسة هاركوت كانت تعلمني يومياً تلكسياً ويبدو لي أنك كنت تعالج المصاعب بكفاءة.

وجلست لورنا، وهي لا تبدي اهتماماً، بينما راح الرجلان يتناقشان في عدة مشاكل برزت في ميزانية بعض الأقسام، انتقلت بها

أفكارها إلى لقائها الأول به منذ ثلاث سنوات وذلك حين كانت تصغي إلى حديثهما.. إلا أنها في ذاك الوقت كانت تسترق السمع لا تصغي فحسب.

كانت تتناول الغداء في مطعم يقع في وسط المدينة التجارية وذلك بعد أن زارت وكالة التوظيف لتخبرهم بانتهاء مدة عملها المؤقت، حين دخل الرجلان اللذان لم تعرف منهما إلا وايد تيرانت الذي كان معروفاً جداً في عالم المال لأنه صاحب مخازن بيع كبرى، ومحطتي وقود إضافة إلى شركة استيراد وتصدير ومعامل أنسجة. وكانت صدفة قد سمعت اسمه في ذلك اليوم بالذات في مكتب التوظيف، حيث اشتكت شابة من المقابلة التي أجراها معها بشأن وظيفة سكرتيرة... وقالت متذمرة:

ـ لم أستطع الوصول إليه حتى، فقد قال موظفو شؤون الموظفين إنني صغيرة جداً.. ويبدو أن السيد تيرانت يريد أن تكون سكرتيرته كبيرة وناضجة... أتفهمين هذا.. ربما نجوت بجلدي بأعجوبة.. لماذا تظنين أنه يفتش عن سكرتيرة خارج مؤسسته، مع أن من المفترض أن يرقي موظفة من موظفاته؟ لأنهن جميعاً يعرفن من هو... هذا هو السبب!

كانت لورنا قد عانت منذ أسبوعين من رب عمل مزعج، يقيم عادة علاقة مع سكرتيراته. فقالت:

ـ اوه..؟ أيتوقع من سكرتيرته أن تقدم له خدمات إضافية؟

نظرت إليها الفتاة كالمجنونة:

ـ أتمزحين؟ إن الأمر بعكس ذلك. إن كل سكرتيراته وقعن رأساً على عقب وتركن العمل باكيات لأنه لا يهتم بهن. إنه يعاملهن وكأنهن أوساخ.

أخفضت الفتاة صوتها حتى اضطرت لورنا إلى تقريب أذنها منها لتسمع:

ـ يبدو أن سكرتيرتين منهن سببتا له المشاكل.. لذلك اشترط أن يستخدم السكرتيرات المتزوجات فقط. وكن للأسف أسوأ من الأخريات بكثير. فقد غضبت إحداهن بعد أن أحست بالمرارة وراحت تنشر الشائعات. وافتعلت أخرى فضيحة في المكتب وجاء زوجها راعداً... لذلك صرف النظر الآن حتى عن المتزوجات.

ـ أي أن هذا لا يشملني.

كانت راضية بالوظائف المؤقتة التي تكسب منها أجراً وفيراً لكنها فكرت في هذا النوع من الوظائف التي تقتضي ساعات طويلة من العمل المتواصل المرهق، والتي تناسب من تجعل العمل حياتها كله أو من تطمح إلى فرصة كبيرة. وأضافت:

ـ أعتقد أن الراتب مرتفع.. إذا أردت الاستمرار في العمل هناك.

ـ بل هو على الأرجح رائع، لكن ساعات العمل في الواقع كثيرة.. من التاسعة حتى الخامسة دون توقف. ابتداءً من الاثنين انتهاء بالجمعة، إنما دون ساعات إضافية.

لكن لورنا أحست بالأسف على الرجل فقد علمتها خبرتها أن العمل المكتبي قد يصبح عذاباً إذا ما قطع رب العمل ذلك الخط الرفيع الذي يفصل بين العمل والحياة الخاصة. وإذا كان وايد تيرانت قد حالفه الحظ السيء مع سكرتيراته، فلا عجب أن يبحث عن سكرتيرة ناضجة لا تعتبر الوظيفة أكثر من مهنة.

راقبتهما يومذاك وهما يتقدمان ليجلسا إلى طاولة قربها... واستطاعت أن تفهم التحدي الذي يمثله هذا الرجل للنساء، ففيه خليط رفيع من القساوة والجاذبية.. فهو يبدو رجلاً عاش حياة قاسية، ودفع الثمن.

تمكنت من سماع حديثهما المخنوق عبر الفواصل الخشبية بين الطاولتين، كانت تصغي إليهما دون حرج، فسمعت الصوت الدافىء

الكسول يقول لرئيسه:

ـ أنت مضطر لاتخاذ قرار بسرعة.. لا يمكنك الاستمرار هكذا في الاعتماد على سكرتيرات مؤقتات. أسبوع آخر وستفرغ المبنى من السكرتيرات!

ـ سأكون ملعوناً لو أخاطر بفضيحة أخرى بقبول من هي أقل من مناسبة.

ـ وما خطب من رأيتهن حتى الآن؟

ـ لا تذكرني بهن.

ـ أعتقد أنك على حق في أن تخشاهن. لماذا لا تجرب رجلاً؟

ـ إنهم في هذا البلد أندر من أسنان الدجاجة. لقد بدا لي من واجهتهم مهتمين برجولتهم أكثر مما يجب.. وأنا أريد سكرتيرة تجيد الاختزال والطباعة، لا موظفاً إدارياً طاغية.

ـ لو عاملت سكرتيراتك بالحسنى...

ضحكة خشنة قاطعته:

ـ أتعرف عندها ماذا سيحدث؟ سيعتقدن أن لهن الحق في توريطي بحياتهن الخاصة، وسيحاولن اقتحام خصوصياتي.

ـ إذن صف لي، وايد، هذا النموذج المثالي الذي تجوب المدينة بحثاً عنه. ماذا ترغب في أن تملك عدا الكفاءة التقنية؟

ـ أن تكون مؤهلة غير بليدة الذهن.

ـ ودون جاذبية..

ـ كنت سأقول هذا... وغير جميلة، بل قبيحة إلى درجة لا تستطيع معها أن تحلم أحلام العوانس. مخلصة، جديرة بالثقة، مطيعة، دون تذلل. امرأة لا تخاف عند الأزمات، ولا تبكي حين أنتقد عملها، ولا تسرع إلى الزواج فالحمل.

فكرت لورنا: لا عجب أنه يعاني من المصاعب فمن أين له امرأة كهذه؟ إنه يطلب قديسة ذات أجنحة.

www.elromancia.com

- وكيف يمكنك أن تكتشف هذه المؤهلات القدسية في ربع ساعة؟

حبست لورنا أنفاسها، فقد خطرت في بالها فكرة، تقتضي هذه المعلومة.

- أبرز لها الحرارة، فإذا لم تذب، تقطع نصف الطريق.

- والنصف الآخر؟

- أحاول تقبيلها، فإذا قبلت، أرميها خارجاً.

- يا الهي، لا عجب أن هناك تسعة وتسعين بالمئة من الفاشلات. ما تطلبه مستحيل. لذا أشك في أن تجد امرأة تحمل هذه المزايا.

- سأخترعها إذا لم أجدها.

أو.. ربما.. ستخترع نفسها... وتسللت لورنا يومذاك عن طاولتها.. وفي اليوم التالي وضعت خطتها قيد التنفيذ. فتجاوزت الوكالة، ثم قصدت مباشر شركة تيرانت على أنها: لورنا هاركوت، الدمثة الباردة، والبشعة قليلاً.

بعد أن اجتازت الصعوبة الأولى في شؤون الموظفين، أعطيت موعداً لمقابلة الرجل الكبير.

وكان كما توقعته ذا أخلاق سيئة، راح يتفرس فيها بوقاحة منذ دخولها المكتب. يرميها بأسئلة كانت تجيب عنها بهدوء، تكذب عليه برباطة جأش..

أجابت حين سألها لماذا تقدمت لهذه الوظيفة:

- لأنك تدفع راتباً مرتفعاً.

- إذا كنت تظنينها وظيفة ساحرة فانسي الأمر. فليس فيها أي تقدم أو منفعة، أو سفر، أو حفلات اجتماعية. ستبقين في هذا المكتب ثماني ساعات في اليوم حتى عندما لا أكون فيه.

هزت رأسها دون أن ترد ودون أن يتحرك لها جفن، ثم لم يلبث

أن طلب منها فتح دفترها، وبدأ بإمطارها الكلمات بسرعة غير معقولة، لكنها سارعت للقول بهدوء بعد أن فاتتها بعض الكلمات:

- آسفة.. لكن يجب أن تعيد الجملة الأخيرة.

فصاح بها:

- وما نفعك هنا بحق الله إن كنت لا تستطيعين إملاء كلماتي؟ أعتقد أنك كذبت بشأن سرعة إملائك وصولاً إلى هنا؟

لكن هذا ما لم تكذب فيه.. فقد صدق قصتها بأنها أمضت سبع سنوات في أعمال مؤقتة لأنها كانت مسؤولة عن أم عاجزة ماتت مؤخراً... وقالت بحدة:

- أستطيع استيعاب مئة وأربعين كلمة في الدقيقة سيدي. لكنك تملي ما يفوق هذا العدد.

نظر إليها ببرود، وكأنه ينتظر أن تقول إن ما من أحد يستطيع مجاراة ما يمليه، لكنها استعادت جأشها، وبعد دقيقة عاد من جديد يملي عليها بطريقة أبطأ ثم تابع إزعاجه لها، وكانت في كل مرة ترى دهشته من برودة أعصابها، تشعر بالثقة تتعاظم في نفسها.. لقد تمكنت من التعامل مع وايد تيرانت الذي ذكرها فكه المتصلب المتشدد، بفك ابنها الصغير حين يحرد. اوه.. هي تستطيع بكل تأكيد تدبر أمره.

ومع أنها كانت تتوقع منه كل شيء، إلا أنها ذعرت حين غيّر تكتيكاته، إذ ابتسم بعذوبة وسألها:

- ألديك حياة اجتماعية آنسة هاركوت؟.. أهناك أصدقاء من الذكور..؟

- أخرج من حين إلى آخر، لكن لا.. ليس هناك شخص محدد.

- جيد.. أنا سعيد.

وتحركت عيناه على بذلتها الكحلية بتقييم متكاسل، وابتسم ثانية:

www.elromancia.com

- فأنا أكره أن أفكر في أن هناك شخصاً قد يحوّل اهتمامك عني..

صمت متوقعاً شيئاً.. لكنها لم تتحرك للرد.. فهي في مطلق الأحوال لن تستطيع مقارنته بالحبيب جاك. وتابع بنعومة:

- أظن أن من الخير لنا أن نتعارف أكثر على الغداء.. هل تقبلين دعوتي آنسة هاركوت؟

- هل لقبولي علاقة بحصولي على الوظيفة؟

أزاح رأسه جانباً وأخذ يتأمل برودها وعدم مبالاتها:

- أوَ لهذا فرق عندك؟

- لا.. أبداً.

انتظرت حتى ظهرت السخرية في عينيه، ووقفت:

- شكراً لأنك قابلتني سيد تيرانت... لكنني لا أظن أن هذه الوظيفة مناسبة لي على أية حال.

وتمتعت بصمته المذهول.. ووصلت إلى الباب قبل أن يتكلم ليوقفها:

- آنسة هاركوت؟

التفتت إليه متسائلة، وكان قد وقف:

- هل لديك اعتراض في أن تشاركيني الغداء؟

- لقد عملت في مكاتب عديدة سنين سيد تيرانت كنت فيها أضع شرطاً لنفسي هو عدم إقامة علاقة مع من يعملون في الشركة التي أعمل فيها. ولو على أساس عرض.. فهذا قد يسبب تعقيدات أنا بغنى عنها.. أنا آسفة، لكنني لا أستطيع التفكير في العمل مع شخص يتوقع أن تتحول علاقة عمل إلى علاقة شخصية.

نفعها إحساسها بنفاذ الصبر، فقد بدأت العمل في الأسبوع التالي، وما عادت تنظر إلى الوراء. لقد توقعت أن تكون الأشهر الثلاثة الأولى تجربة، لذلك تلقت كل ما رماها به وايد تيرانت بصبر

ولم تتخلَ يوماً عن واجهتها الهادئة... لم يكن ذلك الطاغية الذي سمعت عنه، لكنه كان يحسن اختبار موظفيه. وفي سبيل أن تحمي نفسها، تعرفت إلى مزاجه واستوعبته. فعرفت أن أخطر طباعه تكون حين يهدأ.. فعندئذ قد ينخدع الناس معتقدين أنهم تجنبوا منه أسوأ طباعه، لكن سرعان ما يفاجئهم على حين غرة.

أفضل طريقة تعلمتها لتجنب غضبه، هو تقبل تقريعه والتغاضي عنه.. ولكي تلهيه وتبعد غضبه، كان عليها أن تشغل باله بمشكلة جديدة، معتمدة الطريقة التي تستخدمها مع توأميها. فكان أن بقيت، بعد ثلاث سنوات الآنسة هاركوت، وبقي هو السيد تيرانت.

بعد سنة من العمل أصبح يعتبرها جزءاً من أثاث المكتب، فلم يلاحظ التغيير الطفيف الذي أحدثته لنفسها.. فقد كان ينظر إليها دون أن يراها حقاً. لم يلاحظ أبداً كيف أن عينيها اللوزيتي الشكل تبرقان أحياناً وكأنهما زمردتان خضراوان خلف بشرة بيضاء شفافة.

- خذ ملف مصنع النسيج من الآنسة هاركوت قبل أن تذهب ستيف.

هبّت لورنا من أفكارها التي حملتها ثلاث سنوات إلى الوراء. فسمعت رئيسها يقول:

- أريد أن أعرف ما رأيك بما سيفعله فريق مصنعه الجديد.

إنّ شركة تيرانت الآن في سباق مع شركة سايمون فريت لتزويد السوق الأوربية المشتركة بالقماش اللازم لصناعة الألبسة للموسمين القادمين.

فضحك ستيفن:

- أيحاول أن يحدق بقفير الدبابير؟ أم يحاول جعل أصدقائه القدامى يساعدونه في حملته؟

- لقد بدأ بالإنتاج فعلاً..

قد تتفهم لورنا وتتعاطف مع كرهه الطبيعي للأثرياء بالوراثة بغض

www.elromancia.com

النظر عن قيمتهم..

- .. لكنني أشك في أن يوصله هذا إلى شيء هذه المرة. إلا إذا باع إنتاجه بخسارة وعندها لن يكون له أكثر من ثلاثين بالمئة من الصفقة كلها.

قال ستيفن شاو للورنا وهو ينتظر أن تعطيه الملف:

- لا أستطيع سوى الإحساس بالإشفاق على ذلك النذل سايمون حين أرى تلك النظرة المصممة على وجه وايد.

- أعتقد أنه قادر على الدفاع عن نفسه... فقد استطاع تصدير إنتاج المصنع الجديد إلى أستراليا حينما كان فيه وايد على وشك كسب المناقصة.

- أتعلمين لورنا.. أظنك أحياناً تحبين أن يقع الريس على وجهه.

- ومن أين لك هذه الفكرة؟

- مما أراه على وجهك بين الآونة والأخرى. مثل الآن.. بريئة تماماً.

- حسناً.. من المفيد أن أبقي على غروره مكبوحاً إلى حد ما حتى أستطيع تجنب غضبه.

- ومنذ متى تخشين غضبه؟ أنت الشخص الوحيد الذي لا يرتجف حين يبدأ وايد بالصراخ. فما هو سرّك؟

ردت، وبتهور صادق:

- أعتبره طفلاً صغيراً يثير عاصفة ليلفت الانتباه إليه... وأفكر عندها.. في الضرب الذي سيتلقاه على قفاه.

نظر إليها ستيفن لحظة مذهولاً ثم لم يلبث أن ردَّ رأسه إلى الوراء ليرعد ضاحكاً. في هذه اللحظة رن الهاتف الداخلي:

- ادخلي إلى هنا هاركوت، هذا إذا استطعت نزع نفسك من التمثيلية الضاحكة خارجاً.

رفع ستيفن ذراعيه إلى فوق وتراجع، وهو يراها مبتسمة ثم وصل إلى الباب وهو ما يزال يضحك بصمت.. ثم قال هامساً:

- ضرب على قفاه؟ اووه لورنا.. ما أشدَّ ما أعجبني قولك هذا! لكن من هو الجريء الذي سينزل هذا العقاب.

* * *

www.elromancia.com

٢ ـ وكأنك ملاك

بعد أن شاركت ولديها حفلة بسيطة سريعة، آوتهما إلى الفراش، ثم عادت لتساعد إيڤور علي تنظيف الصحون، قبل أن تتوجه إلى غرفتها لتحضر نفسها لموعد اخر للمناسبة نفسها.

وجدت على السرير، فستاناً ناعم القماش أزرق اللون طاووسياً مصمماً للبالي أواخر الصيف المثيرة، كهذه الليلة مثلاً. كانت ياقته منخفضة جداً من الأمام، ومحفورة من الخلف حتى بداية الخصر... أما البطاقة المعلقة فتقول بالفرنسية: «بون شانس ما بَل».

تناسق مع جسدها كتناسق القفاز مع اليد، فشهقت وهي ترى صورتها في المرآة.. من هذه الحمراء المثيرة؟ راحت تدور حول نفسها، متعجبة من لمعان اللون الأزرق الذي لا يلبث أن ينقلب إلى أخضر فاتح، ومن جمال ساقها التي تبدو من فتحته الجانبية السفلى أخّاذة. لقد بدا في الواقع، أن الفستان يظهر أكثر مما يخبىء.

ـ أعجبك؟

التفتت فرأت إيڤور يراقبها باستحسان. فردت:

ـ إنه رائع. لكن ما كان عليك أن تشتريه لي إيڤور.

ـ ولمَ لا؟ لقد آن لك أن تعاملي نفسك ببعض السخاء. فأنت تستحقينه.

ـ ألا تظنه.. قليلاً.. أوه..

ـ بل إنه.. اوه.. كثيراً.. ولهذا يناسبك جيداً.

ـ لكنه سيصدم روبير.

ـ وهذه هي الخطة المطلوبة. ما بَل. ألم تتمني لو يعاملك كامرأة فاتنة بدل أن يعاملك كأمنا الأرض؟

ـ حسناً.. أجل..

ـ أولم تتمني أحياناً لو يُظهر بعض النار والشوق في تصرفه معك؟

ـ أجل.. لكن...

ـ إذن.. صدقيني، شيري، هذا الفستان سيشعل ناره. فما من رجل قد يقاوم إغراء اللهيب.

ضحكت لورنا:

ـ أرجو أن تكون على حق! لكنني أتساءل هل أنا منصفة معه؟ أمن حقي أن أطلب منه فجأة أشياء لم أطلبها من قبل؟ ربما السبب هو عمري الذي يُشعرني بأن الحياة تمر بي مسرعة بينما أقف جامدة دون حراك. لدي من أحبه، ولدي هذا المنزل، ووظيفة ثابتة، ورجل على وشك أن يطلب يدي... فلماذا أحس.. لست أدري.. بالقلق؟

ضاقت عينا إيڤور:

ـ لعلك لا تفكرين في الزواج لهذا السبب فقط.. حذار أن تشعري بأنك مغلوبة على أمرك لورنا.. افعلي فقط ما تريدين أن تفعليه.

ـ لكنني لا أعرف ما أريد! فما أريد إلا أن تتغير الأمور.. كيف؟ لا أدري.

بدا لها الأمر مشوشاً، لكن إيڤور تفهمها:

ـ ليس ما تقولينه مدعاة للتعجب. فقد قضيت ست سنوات دون رجل تحبينه ولقد نذرت نفسك لإيجاد بيت لابنيك، وهذا أمر جيد، يشرّف ذكرى زوجك. لكنك.. الآن بحاجة إلى التفكير في نفسك.

www.elromancia.com

فحذار أن تقارني روبير بجاك لأن هذه المقارنة أمر غير منصف لهما كليهما.

- أعرف هذا.. لذا لا أقارن بينهما، فأنا وجاك كنا زوجين رائعين لذا أحمد الله على الأيام التي قضيناها معاً. ومن الطبيعي ألا أتوقع أن تكون الأمور كما كانت لكن هذا لا يعني أنني يجب أن أقبل بالأقل.

- دعك من القلق الليلة، وتمتعي.. تعالي ليرى ولديك جمال أمهما قبل أن تذهبي.. يريدان أن يريا القرط الذي اشتريناه عليك.

ابتسمت لورنا لنفسها في عتمة السيارة.. روبير رجل دمث الأخلاق، ولقد أبدى إعجابه الشديد بها وبمظهرها. مع ذلك فهو لم يرَ منها شيئاً بعد، فلينتظر حتى تكشف الوشاح عن كتفيها.

التفتت إلى وجهه الذي أضاءته أنوار سيارة قادمة وتساءلت عما إذا كان قادراً على جلب السعادة الحقيقية لها. إنه لطيف يراعي مشاعرها وينجح في التعامل مع التوأمين... لكن له مساوءه. فهو دائم التفكير في مظهره ويحمل بعضاً من كبرياء أمه الأرستقراطية المتملك فيه. يدير متجراً للأنتيكات في جزر البهاما ويسافر حول العالم يجمعها ويبيعها. تعلم لورنا أن الولدين لن يمانعا في الانتقال إلى الجزيرة الكاريبية الجميلة الرومانسية، وكذلك إيفور. لكن.. هل ترغب هي في أن تهجر الحياة التي ناضلت ست سنوات لبنائها لتلعب دور ربة منزل مع حماة لا توافق ابنها على اختيارها زوجة؟ أضف إلى ذلك أن روبير الذي هو الآن في العقد الرابع من عمره قد استقر على نمط حياة خاصة. نعم هو يتمتع بزياراته لها وللولدين.. لكن كيف لولدين مفعمين بالحيوية والنشاط أن ينسجما مع حياته الرتيبة؟ وقد لا يكون هو زوجاً مناسباً لها أو العكس. فروبير حتى الآن لم يضغط عليها طلباً لأي تجاوب عاطفي معه.. وتستغرب الوضع.

تنهدت لورنا وهي تحس بالتردد يجتاح نفسها الآن أمام مواجهة

هذه الأمسية. لقد قال لها إن لديه هدية خاصة لها، وإنه سيقدمها لها بعد العشاء. وهذه البديهيات جميعها تشير إلى أن الهدية خاتم الخطوبة. فماذا سيكون ردها؟

ارتفعت معنوياتها حين عرفت المكان الذي يقصدانه للعشاء. كانا عادة يتعشيان في فندق فخم. لكنه الليلة اختار مطعماً صغيراً، مضاء بالشموع، فيه باحة رقص، يعزف فيها ثلاثة موسيقيين... انتظرت حتى أنهى تحيته لمستقبليه، ثم رفعت الوشاح عن كتفيها، فإذا ردة فعله عكس ما توقعت.. فبدلاً من سيل الإعجاب والاستحسان، تصلب. وحين استدارت لتسلّم الوشاح للمضيفة، سرّها أن تسمع شهقة إعجاب تخرج منه لمنظر ظهرها العاري، لكن حين استدارت نحوه ارتدَّ سرورها. فقد كان الساقي الشاب الواقف إلى جانب المضيفة هو من شهق مستحسناً. أما روبير فقد كان متجهماً مشدود الفم.

كانت تحس وهما يسيران وراء الساقي إلى طاولتهما المنعزلة، بنظرات الإعجاب، إحداها كانت غمزة خبيثة تجاوزتها مبتسمة لتتابع سيرها بثقة.. كانت قد نسيت لذة الإحساس بأنها أنثى.. فمن النادر أن ينظر أحد إلى أم لتوأمين نظرة إعجاب، وتمثيلها دور الآنسة القبيحة في المكتب أوقف أي اهتمام في هذا الاتجاه.

بينما كان روبير يجلس، كانت لورنا تحس بخيبة أمل وانزعاج لعدم ردة فعله. فقد كانت تعلم أنها تبدو جميلة كما لم تبدُ يوماً... ألا يرضي غروره أن يفكر في أنها ارتدت هذا من أجله؟ أم أن انجذاب الرجال إليها الليلة أغضبه؟

سألته بصوت خفيض:

- هل أعجبتك هدية إيفور بمناسبة عيد ميلادي.

بدا عليه الارتياح:

- إيفور اشتراه لك؟ إنه.. في غاية الجاذبية وهو ليس كالثياب

التي تشترينها أنت بالطبع.

جعلها الاعتزاز بالنفس تبتسم ابتسامة عريضة للساقي الشاب الذي أحضر لائحة الطعام. فعرض روبير عليها مساعدتها في الاختيار. لقد اختار روبير مطعماً فرنساً كلاسيكياً وهذا هو شأن روبير الذي لن يخاطر في اصطحابها إلى مطعم لبناني أو إيطالي. فهو لا يرضى إلا بما يعرفه. أدركت أنه حتى الآن لم ينظر إليها نظرة إعجاب صريح، كما ينظر الساقي الشاب مثلاً إنه يظهر دائماً الاستحسان عوضاً عن إبداء الإعجاب، وهذا ما يجعلها تحس بالامتنان لا بإشباع غرورها.

همس الساقي الشاب يوصيها بطلب لحم عجل مطبوخ مع الفطر، والتوابل، والأعشاب المخللة، فوافقت لورنا مبتسمة وأضافت طلب السلطة لتبدأ بها.. ثم أعادت اللائحة للشاب. لكنها عندما انحنت انكشفت ياقة الفستان أكثر، فأوقع الساقي اللائحة أرضاً وهو يحدق فيها، فسارع روبير يقول بجفاء:

ـ أما أنا فأحضر لي صدر دجاج مع الجبن..

أربكت فظاظته الشاب المسكين فتراجع مسرعاً. وما إن ابتعد الشاب حتى قال روبير معلقاً:

ـ لست أدري لماذا يوظفون مثل هؤلاء الصغار غير المجربين. طريقة لفظه الكلام شنيعة.

أخفت لورنا ابتسامة، فقد أعطى روبير طلبه بلغة معصومة من الأخطاء، وهذا مظهر آخر من مظاهر التكبر، وقالت له:

ـ يجب أن يحصل الشبان على الخبرة بطريقة ما. وأنا مسرورة لأنك جئت بي إلى هنا، فمنذ مدة طويلة لم نخرج وحدنا. نعم لا أنكر أن من كرم أخلاقك أن تصطحب الولدين، لكنني أحب أن أكون معك وحدنا أحياناً.

ارتاح روبير بشكل ظاهر وبدت أسنانه البيضاء.

ـ وأنا كذلك لورنا، آسف لأن وقتي في هذه الرحلة ضيق..

لكن أصحاب شركات السفر يحبون التنافس وأنا أرغب في الحصول على أكبر دفعة من السواح لزيارة محلاتنا في سانت توماس.

كانت تعلم أنه يمضي معظم أسفاره يتفق مع شركات السفر ليزور السواح محلاته.. وسألته:

ـ وكيف تسير الأمور؟

ـ جيدة وأستطيع القول إن الأعمال ستزدهر هذا الموسم... لقد التقيت برب عملك السيد تيرانت في سانت توماس منذ أيام وكان برفقته شابة سوداء الشعر، جميلة جداً.

ـ في حوالي العشرين؟ إنها جانيت تروتيل.

ـ اه.. طبعاً.. إنها ابنة صاحب شركة النقل البحري، ظننتها ممثلة شابة.

ـ ألم تلاحظ خجلها؟

ـ ولماذا تخجل فتاة لها هذا المركز. أظنها لا تلائم وايد تيرانت.

تمتمت لورنا:

ـ ربما..

لكنها تعتقد أنها تروق لوايد فالفتاة تعبد الأرض التي يمشي عليها. إن شخصية كوايد تحتاج إلى هذا النوع المطيع الذي لا يطالب بالإخلاص إشباعاً للغرور. أما عمر الفتاة وصغره فطبيعي لأنها تزوجت في العمر ذاته تقريباً، وكانت سعيدة.

ـ هل تحدثت إليهما؟

ـ أجل.. لكن لا تقلقي، لم أذكرك له.. كان ساحراً تماماً.

ـ وأنت يا مسكين سهرت وحدك.

ـ لا.. اصطحبت معي شخصاً من وكالة للسفر.

ـ امرأة؟

ـ أجل.. إحدى السكرتيرات.

www.elromancia.com

- شابة جميلة؟

- ليس كثيراً.. قولي لي.. ماذا قدَّم لك الصبيان هدية بمناسبة عيد مولدك؟

- هذا القرط... روبير.. أكنت تخرج معها؟

- ماذا؟

- تلك المرأة. أكنت تقابلها دائماً؟

- ليس الأمر بهذه الأهمية لورنا.. لماذا تسألينني هذا فجأة؟

- من باب الفضول ليس أكثر.

- حسناً.. ربما خرجت معها بضع مرات.

ربما خرج مع امرأة ليست بصغيرة أو بجميلة؟

- أهي عشيقتك روبير؟

- لورنا؟

مع أنها ذكرت السؤال بصوت خفيض إلا أن روبير نظر حوله خائفاً أن يسمعها أحد.

- لورنا.. هذا ليس بالمكان المناسب...

- هل هي؟

أجفله هجومها فحاول التملص:

- لورنا.. لا علاقة لها بنا!

- بل أظن أن لها علاقة.. أبينكما علاقة؟

فجأة اهتمت بمعرفة الحقيقة وأرادت منه أن يعترف بالحقيقة. بدا لها مضطرباً ومنزعجاً لأنه مضطر إلى الاعتراف:

- لا أراها كثيراً.

- لكنك تراها.. أحياناً؟

- أحياناً.. لكنني.. رجل، على أية حال.

- وأنا امرأة.. فماذا عني؟ أتمانع أن «أقابل» رجلاً آخر «أحياناً»؟

- أنت! لورنا ماذا تقولين؟

- أقول.. ما دمت بحاجة لامرأة، فلماذا لم تتزوجني بعد؟

بدت صدمته واضحة، وتحققت أعمق مخاوف لورنا.. فالنساء بنظر روبير نوعان، المستقيمة التي يتزوجها والمثيرة التي يعاشرها. وهذان النوعان لا يلتقيان في امرأة واحدة.

أحست بإحباط غاضب. مع أنها لا تعبأ بمقابلته امرأة أخرى أو بمعاشرتها لأنهما حتى الآن غير مرتبطين ببعضهما بعضاً فعلياً.. لكن ما يقلقها أنه لم يفكر فيها حتى الآن شريكة حياة. أوَ بعد أن يتزوجا سيبقى على حاله يبحث عن متعته خارج الزواج؟ بينما تبقى هي في البيت تدفئه له وتحمل له الوريث؟

- يا صغيرتي. أنا كما تعلمين أهتم بك وأحترمك جداً كذلك، أرجوك، لا تفسدي ما بيننا من أجل مسألة تافهة كهذه.. أضيفي إلى ذلك أنني لا أجد هذا المكان مناسباً لنقاشنا هذا.

استكانت لورنا في الوقت الحاضر.. لكن شكوكها تعاظمت، إنها لا تريد احترامه، بل تريد حبه، قبل أي شيء. وهذا ليس بمطلب كبير تطلبه حتى وإن كانت في الثلاثين من عمرها. لقد قال إنه مهتم.. وهذا يعني أنه فكر كثيراً في علاقتهما واستنتج أنها أساس جيد لزواج مرضي. لكن بالنسبة لها هذا لا يكفي... فجأة اقتنعت بأنها لا تريد الزواج منه أبداً. فهي ترفض بشدة فكرة قبول الراحة والأمان بدل الحب.

ربما تستطيع أن تجعله يدرك أنه لا يعرفها جيداً كما يظن.. وانها في الواقع ليست المرأة التي يجب أن يتزوجها.

بينما كانت تجول عيناها في ما حولها قلقة، لمحت عيني شاب، يجلس قبالتها تماماً.. في التاسعة عشرة من عمره جميل الطلعة يرتدي بذلة سوداء، كان يحدق فيها بصرامة، أخفضت لورنا بخبث عينيها ثم رفعتهما مبتسمة ابتسامة بطيئة مغرية. فاحمر وجهه، وراح

www.elromancia.com

يتململ في كرسيه. فنظرت إليه بعينين نجلاوين لتعطيه انطباعاً بأنها ترغب في أي مكان إلا هذا وفي أي رجل إلا الجالس إلى طاولتها.

وما هي إلا دقائق، حتى كان الشاب قرب طاولتها! تنحنح قليلاً وتكلم بنبرات متوترة:

- عذراً.. أتمانع سيدي لو طلبت من السيدة أن تراقصني؟

رد روبير بحدة:

- نحن على وشك الانصراف.. ولا أظن..

ردت لورنا تقاطعه وهي تقف:

- سأحب هذا.

وتركت الشاب يتأبط ذراعها، فتمتم:

- اووه. شكراً لك.

والتفت إلى روبير مبتسماً له بانتصار، لكنه لم يلاحظ نظرته هذه لانشغاله بالنظر إلى لورنا باانزعاج قائلاً لها بعينيه إن تصرفها غير لائق، وربما هذا صحيح، فقد راحت وهي تتحرك بين ذراعي الشاب، تفكر في أنها فعلاً تتصرف تصرفاً غير لائق.

همس الشاب في أذنها:

- لعل تطفلي لم يزعجك؟

- لقد تمنيت في الحقيقة أن يتطفل عليّ أحد.

- أكنتما تتشاجران؟

- لا.. بل أظنه كان يوشك أن يطلب يدي للزواج.

- طلب يد... اااوه.. أيجب.. أترغبين في أن أعيدك أم تحاولين إثارة غيرته؟

- بل على العكس، آمل أن أغضبه ليفكر مرتين في ما إذا كنت أناسبه.

- ألا تناسبينه؟

تنهدت:

- ظننت حتى الليلة أننا مناسبين. لكنني أرى الآن الظلام على أنواعه أمامي، والأفكار الثائرة تطوف في داخلي.

نظرت إلى روبير فوجدته جالساً متصلباً غاضباً، فدست نفسها في الشاب أكثر وسألته:

- برفقة من أنت هنا؟

- برفقة خالي الذي كان يلقي عليّ محاضرة.

- اوه.. عمّ هي؟

- عن أصدقائي إذ يعتقد أن تأثيرهم السيء عليّ كبير. ويظن أن عليّ التركيز أكثر على دراستي.

- اوه.. أنت في الجامعة؟

تعثر في رقصه قليلاً، ورد متلعثماً:

- أجل.. إدارة الأعمال.

- ستكون طاغية مال مستقبلاً.. هه؟ هل تتمتع بدراستك؟

- أجل.. لكنها ليست مبتغاي. يقول والديّ إنني لست بالمستوى المطلوب. إنهما يعيشان في ڤنكوڤر، وأعتقد أنهما قلقان عليّ، لذا يطلقان خالي ورائي.

أصغت إليه بتعاطف وهو يتحدث عن أصدقائه الذين يتوجه اعتراض خاله الرئيسي إليهم، لأنهم غير طموحين. بعدما قرأت ما بين السطور عرفت أن شريكها الشاب واقع بين مطالب أقاربه وضغطهم وبين أصدقائه. فقالت بلطف:

- أعتقد أن أهلك وخالك قلقون عليك لأنهم يهتمون بك.

- هه! لا يريد خالي إلا إبعاد أمي عن ظهره.. إنها كثيرة الشكوى فظيعة، وخالي هذا ليس المؤهل لوعظي، فقد تعرّض لكل المشقات صغيراً، وأنا أقله لم أتعرّض لمشاكل مع الشرطة.. لكنه الآن أصبح أسوأ منهم.

كان لخاله إذن مكانة البطل في قلب الشاب قبل أن يهوي من

www.elromancia.com

عليائه، منضماً إلى والديه.

- هاي.. إذا كنت تشير بقولك إلى «الكبار» فعليّ أن أحذرك لأنك تراقص إحداهم. فاليوم بلغت الثلاثين.

- حقاً..؟ أنت تمزحين! اوه.. أعني أنك لا تبدين في الثلاثين. تبدين صغيرة.. أعني.. آسف.

احمر وجهه مرة أخرى من الحرج فأنقذته لورنا ضاحكة:

- لا تعتذر.. أنت عظيم.. أشبعت غروري. ولا أظن أن على والديك أن يقلقا بشأن قدرتك على التعامل مع السيدات! ألديك صديقة؟

- لا أتفق كثيراً مع فتيات يقاربنني عمراً... كان خالي يقول لي منذ برهة إن علي نسيان كل ما يتعلق بالنساء حتى أنهي امتحاناتي.

- وقد سمعت نصيحته فجئت تدعوني للرقص؟!

- تقريباً.. أعني.. كنت أنظر إليك.. وأردت مراقصتك، لكنني لم أكن أجرؤ.. لولا..

- لولا كلام خالك... وأنا ما كنت قبلت لولا روبير الذي أشعرني بأنني عجوز.

- عجوز!

- لم يوافق على فستاني.

شهق:

- لم يوافق؟ لكنه يعجبني. إن لك بشرة جميلة.

أحست براحة يده المبللة عرقاً تتحرك على ظهرها.. اوه.. يا الله.. أبالغت في تصرفها ناسية أن الصغار لا يحتاجون إلا إلى بعض التشجيع.

جالت النظر وهي بين ذراعيه، فوجدت نفسها تنظر إلى وجه مألوف عيناه باردتان زرقاوان تحدقان في الطريقة التي يلتصق جسدها بجسد مراقصها... إنه وايد تيرانت!

- ما الأمر؟

- لا شيء.. الجو حار جداً هنا.. أنخرج قليلاً؟

وأسرعت تجره إلى الأبواب الزجاجية المفتوحة المفضية إلى شرفة صغيرة. وهناك لوحت بيديها أمام وجهها الساخن.

- آه... هذا أفضل!

تحركت إلى طرف الشرفة فنظرت إلى السماء المخملية المرصعة بالنجوم البراقة، تفكر في أن وايد تيرانت لم يتعرف إليها دون شك. ترى ماذا سيظن بعد اختفائها المفاجيء؟ والتفتت إلى الشاب:

- رقصنا طوال الوقت وتحدثنا عن مشاكلنا دون أن نتعارف.. أنا لورنا.

- وأنا مايكل.

وتصافحا، لكنه بقي يمسك أصابعها الرقيقة.

- أنت جميلة جداً.

- هذا ما يقوله لي ابناي.

سحبت يدها منه، فظهرت الخيبة على وجهه:

- ابناك! لكن.. لا يمكن أن تكوني متزوجة!

- بل أرملة لديها توأمان في السادسة.

أدركت الآن أنها أخطأت في إخراجه إلى هنا، إذ تابع بإصرار:

- لكنني مع ذلك أظنك جميلة... أتسمحين؟ هل أستطيع أن أتمنى لك عيد ميلاد سعيد؟

- مايكل.. أنا في عمر يسمح لي بأن أكون أمك.

- لا أهتم.

بدا لها مضطرباً بعض الشيء غير واثق من نفسه وكأنه يتوقع توبيخاً لاذعاً. فأحست لورنا بالتعاطف مع غروره الهش، خاصة بعد قلقها صباحاً على ظهور الشعر الأبيض:

- مايكل...

www.elromancia.com

التقط رغم صغر سنه الفرق البسيط في احتجاجها الواهي.. فتركته يحتويها بارتباك بين ذراعيه، تشعر بالحماس لأنها تتلقى العناق، ولأنها امرأة.. أحست بخفقان قلبها.. وحين ارتدَّ عنها مرتجفاً شعرت بعقدة الذنب تجتاحها، فقالت:

- أظن أن علينا العودة إلى الداخل. أشكرك لأنك طلبتني للرقص معي.

- مايكل.. هل أنت على استعداد للرحيل؟

وقعت الكلمات مباغتة، كما تقع الرصاصات في قلب إنسان، فانسدلت ذراعا مايكل وارتد إلى الخلف.

- خالي وايد.. آه.. طبعاً أنا على استعداد.

خالي وايد.. يا إلهي.. لا، لم يكن على لورنا أن تنظر إلى الوراء، فقد تعرفت إلى الصوت مباشرة، فتراجعت تخفي نفسها وراء مايكل، وقالت له متمتمة:

- اذهب الآن.. سأدخل بعد قليل.

تردد مايكل قليلاً ثم لم يلبث أن دخل إلى المطعم.. لكن ما أرعب لورنا أن وايد لم يتبعه فوراً بل قال:

- من الأفضل على ما أعتقد أن تدخلي أيضاً. فرفيقك على وشك الإصابة بنوبة قلبية منذ أن جررت ابن أختي إلى هنا.

ونزل الدرجتين العريضتين ليصل إليها ثم أردف:

- أم تراك تحبين إغواء الأطفال عادة أمام عينيه؟

شهقت لورنا:

- لكن ليس مايكل بطفل!

- وليس برجل بعد، إنه لا يتجاوز السابعة عشرة.

أي أنها تصلح أن تكون له أماً! أحست بالامتنان للظلمة التي أخفت رعبها.

- ما يزال في المدرسة! أعتقد أن ما جرى الآن أكثر من كاف له،

خاصة أن ما جرى كان مع امرأة خبيرة مثلك... اسمحي لي بأن أقدّم لك نصيحة.

صدمت حين مد يده فجأة وأطبق بيده على عنقها وشدها إليه:

- ... في المستقبل لا تستخدمي ولداً لا يفهم شيئاً ليقوم بعمل رجل. إذا أردت أن ترضي نفسك، ولم يستطع رفيقك تأمينه لك، فاختاري شخصاً ذا خبرة تعادل خبرتك.

أحست بما يشبه الانفجار لتلامس جسديهما. راحت خطوط جسده القاسية تؤلمها، بينما انزلقت يده من عنقها إلى كتفيها، بينما بقيت يده الأخرى ممسكة بمؤخرة عنقها، فأحست بأن النجوم فوق رأسها تدور وتختفي أمام عينيها. ترنحت قليلاً بين يديه، فاشتدت ذراعاه وأمسكتا بثقلها المتراخي. وهمس لها:

- من يعانقك يشعر بأنه يعانق ملاكاً. فلا عجب أن يدور رأس مايكل.

وانتهى كل شيء في أقل من دقيقة... لكن حين ابتعد، كانت لورنا ترتجف، كما ارتجف الولد بل أكثر. لكنها لم تكن قليلة الخبرة حتى يستحوذ عليها ما حدث.. ومع ذلك ارتجفت وكأنها المرة الأولى التي يحتويها بين ذراعيه رجل.

- نشكرك أنا وابن أختي على نهاية سهرة عمل متعبة.

ضحك بقساوة حين اندفعت تعود أدراجها إلى الداخل:

- .. حبيبتي التزمي الفئة الكبيرة... فإفساد أخلاق القاصرين خسارة رهيبة لمواهبك!

* * *

www.elromancia.com

٣ ـ العرض المرفوض

بعد هذا الخروج المسرحي المدمر، احتاجت لورنا إلى لحظات عديدة حتى تثوب إلى رشدها وحتى تستطيع العودة إلى حيث يجلس روبير، ما إن اقترب منها حتى اقترح عليها أن يغادرا، فلم تجادله. فقد كانت مشغولة بالتساؤل عما إذا كان ارتجافها ظاهراً للعيان.. وبقيا صامتين طوال الطريق حتى أطفأ المحرك أمام باب منزلها:

ـ لورنا...

ـ أنا آسفة...

تكلم كلاهما في اللحظة ذاتها، لكن لورنا أردفت:

ـ روبير.. من الأجدى على ما أعتقد أن لا نتقابل كثيراً.

ـ بسبب بيرتا؟ إنها لا تعني لي شيئاً. أنت من أريد الزواج منها. ولك اشتريت هذا.. كان يجب أن تعرفي أنني سأطلب يدك.

نظرت إلى العلبة المخملية الصغيرة التي أخرجها من جيبه:

ـ اوه.. روبير.. لا أستطيع الزواج منك.

لم يصدقها.. فكيف يقتنع بأنها متألمة غاضبة بسبب امرأة أخرى يخرج معها... ألم تعبث بوقاحة مع ذلك الشاب في المطعم يدفعها غضبها؟ لكنه مصمم على رفض ردها وسيمهلها وقتاً لتعيد التفكير.

ـ سيكون لنا حياة جيدة معاً، يا صغيرتي.. سترين أن الزواج هو الأمر المنطقي.

المنطقي!.. لماذا لا يتفوه بشيء رومانسي، شيء مثير، تبدين

كملاك مثلاً.. لماذا لا يقول هذا بتمتمة خشنة مثيرة بدل التحدث عن زواج منطقي؟

رفضت أخذ الخاتم منه، لكنه قال إنه مقتنع أنها ستعود إلى رشدها مع الوقت.

ذهبت في الصباح التالي إلى عملها مملوءة رعباً، لكن ثبت أن لا أساس لمخاوفها، فلم يقفز وايد عند رؤيتها مشيراً بإصبع الاتهام.. فقد كان جاهلاً بأنها تلك التي اتهمها بإغواء الأطفال والأبرياء.

مرَّ اليوم بهدوء، إلا أن توترها تفاقم وقلقها الذي انتابها منذ صبيحة ميلادها لم يتضاءل. فقد وجدت نفسها تفكر في حياتها الرتيبة. لكن لماذا لم ترها بهذا المنظار إلا بعد عناق بسيط؟

راحت تتصارع مع هذا الشيطان الجديد.. لقد عملت ثلاث سنوات مع وايد تيرانت، قانعة بأن تنظر إليه كما ينظر إليها على أنها قطعة ضرورية من أثاث المكتب.. لم تنظر إليه قط على أنه رجل. لكن الفكرة الآن راحت تغالبها. وحين كانت الأوامر تنطلق من فمه القاسي كانت تتذكر انسياب كلماته بنعومة وهو يقول لها: عناقك عناق «ملاك». وحين وقع على الرسائل التي قدمتها إليه تذكرت كيف تسللت هذه الأنامل الطويلة بإثارة إلى ظهرها.. كانت الذكرى تتسلل إليها بخبث، تتبع طرقاً ملتوية وصولاً إلى وعيها، مفسرة عدم الاكتراث الجميل الذي كانت تنظر فيه إليه قبل اليوم.

إنه تعقيد كان بإمكانها الاستغناء عنه. خاصة وأن روبير راح يتصل بها بانتظام طالباً رداً إيجابياً.. وكان يرافقها إحساس بأن كل سنة من سنيّها الثلاثون يزن طناً.. ترى من تكون؟ زوجة أم أرملة أم سكرتيرة أم معيلة أطفال؟ أهي كل شيء لكل الناس؟ لكن من هي لنفسها؟ بدا لها الجواب مراوغاً لكنها باتت تعرف الآن أنها لن تجد الرد في زواجها من روبير.

بعد ظهر يوم، وبينما هي تعيد قراءة عقد كانت قد أنهت طبعه

قبل عودة وايد من غدائه، رأته يدخل ويرفقته جانيت تروتيل التي تقدّمته بالدخول مكشرة عن وجهها الجميل أمام لورنا مازحة.. يا إلهي.. هذا يعني أنه في مزاج سيء.. ردت التحية بابتسامة.. لكن أي تفكير بالمزاح تلاشى من رأسها حين رأت من يتبع رئيسها من الباب.

ـ آنسة هاركوت، هل لي برؤية جدول مواعيدي في الأسبوع القادم لأعرف ما إذا كان لي ارتباطات خارجاً؟ لا تقف هكذا مايكل، ادخل.

حاولت بيأس الالتفات إلى الجدار.. لكن الحظ لم يحالفها.. فقد التفت الرأس البني بسرعة نحوها ثم عاد مرة أخرى ينظر إليها:

ـ لورنا؟

احمرّ وجهه، وسقط فكه، فردت بصوت ضعيف:

ـ.. مرحباً مايكل.

كان بإمكانها التظاهر بأنها لا تعرفه، لكن ذلك قد يجلب المزيد من الاهتمام. ولا بد أن مايكل لم يفهم الرسالة من نظرتها إليه. فراح ينقل بصره من خاله إليها، ثم ابتسم:

ـ هل أنت...

ـ ليس لديك شيء في الأسبوع المقبل إلا خطاباً عليك إلقاؤه في مؤتمر جمعية الصناعيين يوم الأربعاء في يوركشاير..

قاطعته لورنا بسرعة تجذب اهتمام رئيسها.. لكنها فشلت. فقد قطب وايد تيرانت وكأنما مايكل الشاب ادعى معرفته بجريمة. وسأله:

ـ أتعرفان بعضكما بعضاً؟

ـ طبعاً..

سارعت لورنا للتدخل:

ـ التقينا مرة بعض الوقت.

وأرسلت إلى مايكل نظرة ثابتة يستحيل ألا يفهمها.. فسارع إلى القول بلهجة مميزة النبرات:

ـ اووه... أجل... التقينا مرة وقتاً قصيراً جداً.

وكادت لورنا تغوص تحت طاولتها. تباً لهذا الولد الذي يتمتع بإزعاجها، ليسجل نقطة في مرمى خاله. ضحك كالشامت لأن خاله لم يتعرف إليها.

ـ لم أكن أعرف أنها تعمل هنا.. فالطريقة التي كنت تتكلم فيها عن الآنسة هاركوت جعلتني أظن أنها رجل.

تابعت لورنا متجهمة، محاولة تجميع شتات أفكارها وتجاهل ضحكة مايكل، وفضول جانيت:

ـ وهناك مباحثاتك مع اتحاد العمال يوم الجمعة.

ونجحت لورنا:

ـ تباً..! لا أستطيع تغيير أيّ منهما.. مايكل أنت مضطر للبقاء في المدرسة.

ـ لا أريد البقاء في المدرسة.. لماذا لا أنتقل إلى بيتك؟ لا أحتاج إلى مربية أطفال.

ـ لا تحتاج؟

قالت جانيت بصوتها العذب اللطيف:

ـ لماذا لا يقيم معنا؟ لدينا غرف عديدة لذا سيستطيع الدخول والخروج متى شاء...

والتفتت إلى مايكل مبتسمة ثم إلى الرجل المتجهم قربها، الذي رد بعد تردد قصير:

ـ فلندخل إلى المكتب لمناقشة الأمر... وأنت أيضاً مايكل.

أمسك ذراع جانيت ليدخل معها المكتب، فتقدم مايكل من لورنا وقال هامساً:

ـ لورنا! لم أصدق حين رأيتك، ظننت أنني لن أراك ثانية. ما

www.elromancia.com

الذي يجري بحق الله؟

لم تجد أي خيار إلا أن تقول له:

- خالك لا يعرف شيئاً عن توأميّ، كما لا يعرف أنني كنت متزوجة.

نظر إلى بذلتها الرسمية وإلى طريقة تصفيف شعرها وإلى نظارتها:

- وما هذا؟ هل أنت متنكرة؟ جاسوسة؟ ربما لأحد منافسي خالي؟

- لا.. بالطبع لا، مايكل. إلحق به أرجوك قبل أن يتساءل.

لكنه بدل أن يلبي طلبها جلس على حافة المكتب.

- هيا الآن لورنا.. ما معنى هذا كله؟

نظرت بقلق إلى الباب الذي لم يغلق منه إلا جزء غير كبير:

- اسمع.. لم يرغب في سكرتيرة متزوجة ذات عائلة. خاصة إذا كانت مسؤولة عنها وحدها.

- والنظارة؟ ما كنت قصيرة النظر حين نظرت إليّ في المطعم.

- إنه لا يوظف النساء الجميلات أيضاً.

- إنه يتواعد معهن فقط!

- بالضبط. والآن أرجوك.. مايكل...

- آه.. إذن، لو «رميت البحصة من فمي» لأصبحت دون وظيفة.

- وسأغضب عندها منك كل الغضب.

- لن أقول شيئاً لورنا... إذا...

- إذا ماذا؟

- إذا قبلت دعوة غداء في الأسبوع المقبل.

- غداء يا مايكل؟ وماذا عن مدرستك؟

- الجامعة.

- قال خالك إنها مدرسة، مايكل أنت في السابعة عشرة.

- أليس على من هو في السابعة عشرة أن يتناول الغداء؟ فما المشكلة لورنا؟ إنها وجبة طعام. لقد أمتعني كلامك تلك الليلة، أتعلمين هذا؟ فلم تكلميني بتنازل كما يفعل هو.

رفضت حتى التفكير:

- لا مايكل.

- أرجوك.

- لا!

نزل عن الطاولة وقال ببرود:

- إذن.. أنا مضطر لأخبر خالي الحقيقة كاملة.

- لن تفعل هذا!

- أووه.. بلى سأفعل... فقد علمني هو نفسه أن أكون صريحاً حين أريد شيئاً.

وقفت لورنا غاضبة، وقد توترت أعصابها لأنها أصبحت رهينة أهواء تلميذ مدرسة.

- كيف تجرؤ على تهديدي! إن كلامك هذا يؤكد لي عدم نضجك الذي تدعيه. أتقوم بهذا دائماً؟.. أتركض إلى خالك حين لا تستطيع الحصول على ما تريد..؟

أصبح وجهه أحمر قانياً، وتقوست كتفاه..

- أنا آسف.. أظنك غير مهتمة بمحادثة ولد صغير.

بدا لها بائساً محروماً حتى كادت إرادتها تضعف. لا بد أنه أحس بالضيق، لأنه أضاف بلهفة:

- ألا أستطيع أن أراك في الأسبوع القادم؟ سأعطّل في منتصف الفصل... فالمدارس الداخلية تمنح تلاميذها فرصة أسبوع للراحة. والداي في أمريكا ولهذا من المفترض أن أبقى مع خالي وايد...

- مايكل؟

www.elromancia.com

ارتفع رأساهما عند سماع الصوت الأجش الآمر.. اوه يا إلهي.. لقد شاهدت حاجبيه يرتفعان تساؤلاً مما قد يوصله إلى الحقيقة:

ـ ألن تدخل؟ أم أفهم من هذا أنك ستكون سعيداً للإقامة أسبوعاً كاملاً في المدرسة؟

أطاعه مايكل كقط أليف. أمّا وايد فقد بقي لحظة يحدق في لورنا، التي سارعت تحني رأسها وتمسك أنفاسها حتى انسحب.

فهمت مما سمعته حين خرجوا من الغرفة، أن مايكل سيبقى في منزل آل تروتيل الأيام الأربعة التي سيغيب فيها خاله عن المدينة.. لم يكن لدى مايكل فرصة ليكلمها لكنه قبل أن يخرج أشار لها سراً بأنه سيتصل هاتفياً، فهزت رأسها حسرة عليه.

لم تكد تنتهي من ورطة حتى واجهت صدمة.. فقد وصل ستيفن شاو واختلى بوايد بضع دقائق قبل أن يستدعياها.

ـ اجلسي آنسة هاركوت، اتركي هذا الدفتر.. لا.. لا تجلسي هنا بل هناك.

وأشار إلى ما يسمى في الشركة «مقعد الاستجواب» فهو موضوع في مكان يتسلط عليه الضوء من النافذة بحيث يقع مباشرة على وجه الجالس كاشفاً أي انطباع قد يمر في عينيه. تركزت عيناه عليها، وتلقت نظرة تشجيع واطمئنان من ستيفن..

ساد الغرفة صمت بعض الوقت حاولت فيه لورنا تثبيت أنفاسها. إنها لعبة تعلمتها في عيادة التوليد حتى يسترخي جسدها ويصفو تفكيرها. وهي طريقة تساعد الحامل على عزل شعور الألم، كما تساعد في السيطرة على الأعصاب.. ولقد أصبحت هذه اللعبة جزءاً منها، لذا تمكنت الآن من البقاء دون حراك حتى توقف وايد عن محاولة إرهابها كما يفعل مع الجميع... فهذه لعبته للسيطرة لكنها الوحيدة التي ترفض التعاون معه.

بدأ يتكلم بلهجة ضجرة أعلمت لورنا أنه سيقول ما لا يرغب فيه:

ـ أنت تعلمين أن ستيف منذ وقت طويل يتذمر من تثاقل عبء العمل عليه.

تبادلت النظرات معه، رافعة حاجبيها، إن هذا صحيح، لكنه لم يفشل مرة في عمله. وكسله مصطنع، وإلا لما بقي في هذه الشركة. فمن لا يستطيع مجاراة عمله يقع فاشلاً، أو يُدفع خارجاً. قال لها ستيفن:

ـ تشلني كثرة العمل آنسة هاركوت. دون ذكر تأثيرها على حياتي الخاصة.

فتمتمت بخشونة:

ـ ما عرفت أن لك حياة خاصة.

لكنها تعرف أنه يخرج مع ممثلة شابة شهيرة وأن اسمه يُذكر بشكل متواصل في صفحة الشائعات في الصحف..

ابتسم لها:

ـ أدرك آنسة هاركوت أنك المؤتمنة الأخيرة على أسرار الشائعات في الشركة.. لكنك لم تسمعيها كلها بعد.

صحيح أن الكثير من الناس هنا يرهقونها بالتفاصيل الكاملة عمن يطعن به من الخلف، وهؤلاء النمامون من الشركة. ويعلم الجميع أنهم قادرون على الاعتماد عليها لكتم الأسرار، ولو أحست أن معلومة ما يجب أن تصل إلى الرئيس، لنقلتها إليه بشكل مناسب لا يزعج أحداً.

التفتت إلى رئيسها متسائلة، فمال إلى الأمام في كرسيه وقد ضاقت عيناه، وهذا تصرف مألوف يزعجها.. فهو على وشك أن يفعل شيئاً لا يستسيغه.

ـ وستيفن يشعر أنه قد حان الوقت حتى أعين مساعداً منفذاً آخر.

هذا ما يزعجه إذن.. ارتاحت لورنا، إنها مسألة الاعتياد على وجه جديد إذن.

ـ أتريدني أن أنشر إعلاناً؟

أخذ ينقر الطاولة بأصابعه، وهذه إشارة سيئة أخرى:

ـ لا.. إنه يريد معاوناً من الداخل.

ـ أعتقد أنك تود رؤية ملفه.

رد باقتضاب:

ـ اعتقادك خاطىء.. إذا توقفت عن التعليق، قد أجد فرصة لأنهي ما أريد قوله.

أحست لورنا بالامتعاض.. إنه «يتوقع» منها أن تتكهن تحركاته جميعها باعتبار ذلك جزءاً من عملها.

حين انفجرت القنبلة غير المتوقعة شهقت:

ـ لقد رشحك ستيفن للوظيفة.

ـ أنا؟

كانت أول ردة فعل منها الضحك بتوتر.. فتراجع في مقعده:

ـ ظننتك ستفرحين.

وبدأت تدرك أنه جاد رغم سحر صوته، وسمعت ستيفن يشرح الأمر:

ـ بل أنت يا لورنا تقومين فعلياً بهذا العمل الذي تقدرين على حمل المزيد من أعبائه إذ تعرفين المؤسسة من الخارج إلى الداخل. حين نجد بديلة عنك تنتقلين إلى المكتب المجاور لمكتبي وستكون لنا أنا وأنت جانيس سكرتيرة.

أضاف وايد:

ـ ومن الطبيعي أن يزداد أجرك وأن يصبح لك عمولات إضافية.

أحست لورنا بدغدغة في ظهرها لم تلبث أن انقلبت إلى قشعريرة باردة.. فالترقية آخر ما تتوقع بعمولات أم بدونها، أردف وايد نافذ

الصبر:

ـ تبدين مذهولة آنسة هاركوت.. لا تحاري في أمرك ما عليك إلا قول «لا أو نعم».

عقد ذراعيه فوق صدره وحدق إلى سكرتيرته الصامتة متمنياً أن تحسم الأمر سريعاً. لم يشكك وايد لحظة في أنها ستقبل. فالغبي وحده يرفض فرصة كهذه، وليست الآنسة هاركوت بغبية أبداً.

كما أن ستيفن محق؛ فهي خسارة في وظيفة سكرتيرة.. فلها إلمام متين بكل أمور الشركة.. وهي سريعة التعلم، ولها موهبة غير عادية في التعامل مع الناس.. حتى في التعامل معه هو. بل خاصة معه هو. فقد أصبح بعد سنوات العشرة يدرك مهارتها في تجنب المواجهة معه.. فهي لا تنفر منه مهما فعل ولا تجادله، وقد استطاعت أن تفرض نفسها وتأثيرها الفريد في المكتب.. كان طبعه الرديء يسبب له في الماضي المشاكل، لكن ليس مع الآنسة هاركوت، التي تتلقى الصدمات بدرع حديدي. كانت تتلقى الصدمات حتى أدرك أخيراً أنها بهذا توفر عليه الإحراج.. بل كان أحياناً يحس بأنها هي، لا هو، المسيطر. ترى كم من الوقت سيحتاج حتى يجد سكرتيرة أخرى مثلها أو تشبهها أقله؟ في هذه اللحظة تمنى لو يجد طريقة يستطيع فيها أن يرفض عرض الوظيفة الجديدة عليها، لتبقى سكرتيرته.

ـ لا!

حمد.. غير قادر على تصديق أذنيه. لقد رفضت! كيف تجرؤ على رفض عرض تردد كثيراً في تقديمه؟ ألا تدرك أنه يمنحها شرف ثقته واحترامه؟

بدا الارتباك على ستيفن:

ـ ترفضين؟ لكن.. لورنا.. كيف ترفضين؟

لعقت لورنا شفتيها.. وهي تحس بالغيوم تتلبد فوق الشخص

الجامد دون حراك وراء مكتبه. فسألت:

ـ لماذا..؟ هل الوظيفة إجبارية؟

ـ بالطبع لا لورنا.. لكن بالله عليك، ألا تدركين ما ترفضين؟

تكلم وايد تيرانت بهدوء وصوت خفيض:

ـ أظنها تدرك تماماً ما تفعل وما من شك في أنها ستقدم لنا الأسباب الموجبة لرفضها.

ـ المسألة كل المسألة أنني لا أريد المنصب.

انخفض صوته أكثر:

ـ هيا الآن آنسة هاركوت! قدمي عذراً آخر أفضل من هذا. ما هي الأسباب؟

ماذا تجيب؟ أتقول إنني أرفض الوظيفة لأنني أحتاج إلى الذهاب باكراً إلى المنزل يومياً عند الخامسة والنصف حتى أكون مع ابنيّ حين يعودان من المدرسة.. فلعائلتي الأولوية حتى على صاحب القدر العالي وايد تيرانت؟

خطت خطوة حذرة ثابتة إلى حقل الألغام:

ـ لقد تدربت لأكون سكرتيرة.. وهذا ما أحب أن أكون عليه. كما أنني لا أريد أعباءً إضافية على عاتقي.

ـ ألا تقدرين على تحمل المزيد من الأعباء؟

تلقت سخريته بسهولة تدربت عليها:

ـ أنا واثقة من قدرتي.. لو أردت.

ـ لكن لورنا..

قرر لويد عندها المقاطعة:

ـ ربما تدعونا الآنسة هاركوت للتفاوض... ما مأربك آنسة هاركوت..؟ المال؟ شروط؟ حصص؟

ـ لا مأرب لي. كل المسألة أنني لا أريد المنصب.

ـ لقد خيبت أملي إذن.. ظننتك سترحبين بفرصة لتحسين

مستقبلك العملي.. لو كنت ممن يتجابن عن حمل المسؤولية، فيعني أنه يجب ألا تكوني في هذا المكتب.

أشعل نفاقه غضب لورنا. كيف يقول هذه الكلمات بعد الجهد الذي بذلته لتنفذ متطلباته الدقيقة كلها! توتر جسدها وهي تحاول السيطرة على نفسها.. لكن الشوق إلى رمي هرطقته في وجهه كانت كبيرة.

ـ هل لي أن أذكرك سيدي، بأنني منذ أن أصبحت سكرتيرتك لم أتوانَ عن القيام بمسؤولياتي.. حين توظفت؛ فهمت منك أنك تريد سكرتيرة إلى أمد بعيد. لم أكن أعلم عندها، بالطبع، أنني سأتلقى الانتقاد والإهانة لوفائي بالشروط التي فرضتها عليّ. وأنا واثقة أنه لو كان الموقف معكوساً، وطلبت أنا ترقية لصدمت ولأبديت انزعاجك من طلبي!

علق ستيف بخفة:

ـ آه.. أظنها أحرجتك ريس.

لكن المتجابهين تجاهلاه، متبادلين النظرات.

ـ لست مهتماً بنفاقك.. السكرتيرات الجيدات موجودات في كل مكان.. أما القادرات على وظائف تنفيذية، فقلة.

كانت الإهانة المختبئة في كلامه واضحة لها، فابتسمت بخبث:

ـ حقاً؟ إذن لماذا مررت بوقت عصيب قبل أن تجدني؟ فحتى السكرتيرات المتفوقات وجدن العذاب في تحمل طلباتك. وأنا أحكم على هذا من خلال النقص الذي كان في الطلبات المقدمة إليك.

تراقصت عضلة في خده:

ـ لقد أصبحت بليغة في الكلام فجأة، دفاعاً عن وظيفتك. أيكون لديك دافع آخر يجعلك ترفضين الانتقال من مكتبي؟.. ترى هل وقعت في حبي سراً؟ وبت غير قادرة على الابتعاد عني؟

ـ وايد..

www.elromancia.com

طفق ستيفن ينقل بصره من أحدهما إلى الآخر، لكنه أزيح جانباً مرة أخرى.

- ربما وقعت في حب آلتي الكاتبة سيد تيرانت لأنها دون شك ذات شخصية تعجبني أكثر من شخصيتك.. لقد قلت لك إنني لا أريد الوظيفة ويجب أن تفهم أن هذا ردي النهائي وإذا شئت طردي لأنني أريد أن أحكم مستقبلي بنفسي فافعل.. لكن، لا تسع إلى أي تكتيك تآمري مستأسد. لقد شاهدتك أكثر من مرة تنفذه حتى بات لا يؤثر فيّ.

صاح بها وايد:

- ألا تزعجك فكرة طردك؟

أطل في عينيه الزرقاوين تعبير آخر غير مفهوم. كافحت لورنا لتتعرف إليه قبل أن ترد:

- ليس في الواقع.. فأنا أتلقى عروض عمل ممن يمرون في هذا المكتب. وهي عروض مغرية جداً... فاصطياد الموظفين لا يقتصر على المتنفذين فقط. ولقد رفضت تلك العروض لأن هذا العمل يناسبني.

- تعنين أنني أناسبك؟

ردت سخريته الغضب إلى نفسها فهذا الوحش ما زال يوحي بأنها وقعت في حبه.

- في الواقع.. أنت الإحباط الوحيد في وظيفة رائعة كهذه!

وعضت شفتها لكلامها الجارح، فهو سيرد عليها بهدوء قاتل، تعرفه خير معرفة.

- إنه إحباط كبير على ما أعتقد، نظراً للوقت الطويل الذي نقضيه معاً.

هذا كلام غريب منه، فهو لا يقبل أن يهزمه تابع له. أو يكون ذلك لأنه قرر طردها؟

وقف بكسل على قدميه:

- أخيراً وبعد ثلاث سنوات، بدأت أكتشف رأيك الحقيقي بي.

- لا أظن أن رأيي يهمك، ما دمت أقوم بعملي.

ووقفت هي أيضاً لئلا تشعر بالقصور أمامه.

- إنه مهم إذا كنت ستعملين معي بدلاً من العمل عندي.

أحست لورنا بالدوار من جرّاء الارتباك.. لم يطردها إذن رغم رفضها ما يريده.

- لكنني لن أعمل معك، لقد رفضت.

نظر بتعجب إليها، تحديداً إلى قمة رأسها:

- يا إلهي! شعرك أصبح أحمر، متى صبغته؟

- لم أصبغه سيد تيرانت، فهذا لونه، لم أدرك أن علي طلب الإذن بشأن لون شعري.

- إذن لماذا لم ألاحظه من قبل؟

- أوَ تتهمني بالكذب؟ قد أبرهن لك أنني صهباء.

خرجت الكلمات منها عن غير تفكير حتى سمعت ضحكة مكتومة من ستيفن. استرخى فم وايد بابتسامة خفيفة.. وأحست بالاحمرار يجتاح جسدها كله:

- أعني.. أن لدي صوراً.

- حقاً؟ آنسة هاركوت لم أكن أعلم أن لديك مثل هذه الهواية.

- إنها صوري حين كنت طفلة.

- اوه.. طبعاً.

تبادل مع مساعده نظرات متفاهمة، ثم أردف:

- حسناً.. بعد أن سوينا مشكلة لونك... هل نتفق على تسوية المشكلة الأخرى؟ فكري أياماً في العرض.

أحست بفقدان التوازن للإحراج الذي تحول إليه الحديث منذ لحظات ولهفواتها الغبية.

ـ لا أحتاجها.

ـ حسناً.. أمهلك أسبوعين للتفكير، حتى يستطيع فيهما ستيفن حل مشاكله. أليس كذلك؟

ـ طبعاً!

ـ لكنني لن أغير رأيي!

ـ حسناً.. لكن لا تقفلي الأبواب باكراً، اتركي الأمر الآن.

ـ لا!

صاحت وكأنها تعول إحباطاً... إنه ليس بأفضل من روبير... فهما كلاهما يعتقدان أنهما سينفذان ما يريدهما، بغض النظر عن مشاعرها.

ـ لن أترك المسألة الآن. فلا أريد أن أجد فجأة ملفي الشخصي قد أعيد تصميمه، أو أفتح مغلف الراتب يوماً فأجدني نلت زيادة غير متوقعة. كما لا أريد أن أصل يوماً فأراك قد عينت لي مساعدة لتحل تدريجياً محلي حتى أستلم المزيد من المسؤوليات.. السيد تيرانت. لن تكرهني على الطاعة!

سمعها، ويداه على خصره، كان يرتدي معطفاً قصيراً كالذي كان يرتديه تلك الليلة. بينما كانت تنظر إليه، تذكرت كيف أن أزرار المعطف انطبعت على جسدها وتذكرت صوت حفيف قماش ثوبها على قماش معطفه كما تذكرت عطره المميز كذلك الذي هو مزيج من كولونيا ومسك.. وها هي تشم الرائحة ذاتها الآن. يا الله! إنها تفقد صوابها.

وتمتم بحدة أكدت شكوكها:

ـ يبدو أنك تجيدين التنبؤ بما أنوي فعله فعلاً آنسة هاركوت.

إلا أن تصميماً ما بقي ظاهراً في عينيه حتى تساءلت عما يخبئه لها.. ثم فاجأها وستيفن معاً بقوله:

ـ حسن جداً.. أؤكد لك أنني لن أُجبرك على فعل ما لا تريدين.

فلك الحرية في قبول الوظيفة أو رفضها. لكنني مصر على منحك يومين لتمعني النظر في عرضي. هل توافقين؟

حين مد يده لها لم يكن أمامها خيار إلا أن تمسك بها، فصافحته بحذر شديد، ثم تركت يده ثانية بسرعة لأن أصابعه اندست وصولاً إلى نبضاتها المتسارعة في معصمها.

لقد تهربت أخيراً... تعي تماماً نظرة ستيفن اللائمة. المسكين.. لقد ظن أنه يقدم لها خدمة.. وخذلته.

ذلك المساء، أخبرت إيفور بالأزمتين اللتين مرت بهما. فسألها بعد أن أبرزت إحباطها:

ـ ألا تظنين أنك خائفة جداً من افتضاح سرك. عملت عنده ثلاث سنوات أثبت فيها جدارتك وكفاءتك. فلماذا يغير رأيه إن عرف بأمومتك؟

ـ قد تكون على حق.. لكنني بكل بساطة لن أخاطر. لقد دفعت نفسي اليوم إلى حافة الطرد من العمل لأنني دافعت عن حقي... فتصور ما قد يحدث لو عرف أنني كنت أخدعه ثلاث سنوات؟ إنه يكره الخداع.

ـ ومن لا يكرهه؟ لكنه بكل تأكيد سينظر إلى خدمتك الطويلة بعين الاعتبار.. ولن يستطيع اتهامك بالغياب أو الإهمال بسبب ولديك. يجب أن تفكري في الأمر لورنا.. خاصة إذا كان مايكل هذا سيسبب لك المشاكل كما تظنين.

ـ همم... سأفكر.

لماذا تأتي المشاكل دفعة واحدة بدلاً من مجيئها منفردة أو على الأقل ثنائية؟ ولماذا يجب أن تكون الحياة قاسية لا تلين؟

ذلك الرجل الخسيس! هذا ما فكرت فيه حين آوت إلى الفراش. هل تستطيع الثقة برجل يعانقها ثم يهرب منها مثلما فعل وايد تيرانت؟ إنه ليس ناجحاً إلا في العناق والإهانات والاستئساد والتآمر و..

استغرقت في النوم وهي تحاول البحث عن الأوجه غير الجذابة في شخصيته التي قد تفوق التركيبة المربكة لعناقه وإهاناته.

* * *

٤ ـ الدوّامة

«حسناً أيها السادة.. ثمة المزيد من التعليقات؟»

أغلقت لورنا دفتر الملاحظات لأن لهجة وايد أشارت إلى أنه يطلب إنهاء الاجتماع.

لكن أحد المديرين تكلم:

ـ أرى أن الأمر كله مخاطرة، فهذه المرة الثانية التي يتم فيها إقرار مثل هذا الاتفاق، وليس هناك من ضمانات بأن الحكومات الأوروبية ستوافق عليه بعد موافقة السوق الأوروبية عليه. وإن لم توافق فسنضطر إلى البدء من جديد، مع كل حكومة على حدة. حتى وإن نجحنا، فسنواجه منافسة الأسواق الأخرى.. ربما ناقشنا هذا قبلاً، لكنني فعلاً أشعر بأننا نقضم قضمة تفوق قدرتنا.

هوارد اندرسون هو مدير الشركة المالي، مفكر محافظ أثبت أنه الميزان ما بين مساعدي وايد تيرانت الشباب وهو يُعتبر أكثرهم اندفاعاً وطموحاً.

رد وايد، وعيناه الزرقاوان تتفرسان بالوجوه حوله:

ـ الخسائر الأولية، القصيرة المدى، أمر محتم. أنت تعرف هذا هوارد، لكن إن لم نخاطر، فلن تكون لنا نتائج.. فصناعة الأقمشة ليست بالصناعة الجديدة. مما يعني أنه ستبقى فرص الإنتاج متاحة لنا حتى وإن لم نصل إلى اتفاق يجعلنا نحتكر الموسم. فلدى مصانعنا من الطلبات ما لا يجعلنا نقلق عليها... أنت لم تعترض هوارد حين

www.elromancia.com

اتخذت شركتنا طريقة استثمار لتغطية الضرائب بأقل قدر ممكن.

ـ صحيح.. لكنني على ما أذكر أثرت بعض الاعتراض. أما الآن فأعتقد أن مشروعك هذا سيورطنا بالملايين.

قاطعه ستيفن:

ـ لا تنقلب ضدنا هوارد، ألست أنت من أقنعنا بإدخال الكمبيوتر في نظام الشركة؟

ـ كان هذا دفعات نقدية تسدّد بعد ستة أشهر فقط. وقد أفادنا هذا إفادة كبيرة، وهذا ما أثبته لنا التقرير السنوي.

وعلق ضاحكاً:

ـ هذا عدا المرح الذي حصلت عليه بوجود الكمبيوتر تحت تصرفك، ما هي آخر أخبار غزو الفضاء هوارد؟

تدخل وايد:

ـ أقدّر لك اهتمامك هوارد.. لكننا الآن تخطينا نقطة مناقشة أحد لإنتاجنا في المنطقة. وهذه مسألة تمس سياسة الشركة، التي سبق أن أقرها مجلس الإدارة، فلماذا لا تنقل تحفظك إلى أهداف أخرى فتنبأ بالحلول بدل المشاكل.

وقف.. معلناً انتهاء الاجتماع، فوقفت لورنا أيضاً ثم بدأ الرجال يضعون أوراقهم في ملفاتهم... هذا اجتماع يعقده وايد عادة للمديرين التنفيذيين أسبوعياً.. وهو فرصة لرؤساء إداراته للإدلاء بآرائهم وشكواهم بشأن ما يؤثر في سير العمل.. وهو فرصة لوايد حتى يبقى مسيطراً على موظفيه.

ـ لا تذهبي لورنا.. أريد مراجعة مشروع الميزانية مرة أخرى.

كان قد مرّ أسبوعان منذ أن رفضت الترقية التي ما زال صداها يدور في المبنى كله.. فالشائعات العادية التي تجول هنا وهناك تقول إن الرئيس قد أصبح ودوداً مع سكرتيرته لأنها تستحق الترقية، أو أنه على علاقة معها.

كان يفضل الشائعة الأولى من يجد الفكرة الثانية غير معقولة لأنهم يرون الآنسة هاركوت فاقدة الإحساس لا تنزعج بسهولة.

ـ حاضر سيد تيرانت.

ـ تعالي واجلسي قربي لندخل الأرقام إلى الكمبيوتر.

اقتربت منه على مضض، فرأته قد باشر بفتح الجهاز أمامه استعداداً لتخزين المعلومات، طالباً البرنامج الذي يريده. رفع الشاشة حتى تراها لورنا دون انزعاج، ثم وقف ليخلع سترته.

ـ مستعدة؟

خاضا العملية كلها معاً، لورنا تسجل ملاحظاتها عن النتائج والتصليحات، التي كانت في مثل هذه المرحلة المتأخرة، طفيفة.

ـ أهناك ما يزعجك لورنا؟

يد لورنا التي كانت تدلك جبينها عن غير وعي ارتدت إلى حضنها ثانية، ثم رفعت بصرها إليه مستهجنة، فلم يسبق أن رأته مهتماً بصمتها.

ـ أيكون السبب التحديق في أشعة الشاشة؟ أعلم أنك تجلسين أمامها ساعات طويلة، فإذا كان التعب هو السبب، فسأجري تحقيقاً مع كافة الموظفين.

ارتاحت لورنا.. فهو على ما يبدو قلق من تأثير الكمبيوتر في الموظفين.

ـ لا.. لا أجد متاعب في استعمال الكمبيوتر، ولا أذكر أن موظفاً اشتكى منه... إلا أنني متعبة قليلاً.

لقد احترق جسد الصغيرين بحروق الشمس مما جعلها تهبط وتصعد مرات كثيرة لتحمل لهما الشراب البارد من المطبخ إلى غرفة النوم، هذا عدا عن تدليك الحروق بمرهم مهدىء.

ـ أسهرت كثيراً؟

ـ لا..

www.elromancia.com

وبدأت تلملم الأوراق المنتشرة أمامها تتذكر أنه منذ أن عرض عليها الوظيفة، وهو لطيف معها إلا أنه يحاول في الوقت ذاته جعل علاقتهما أقسى وأصعب وقد لمح إلى أنها تخذل بنات جنسها برفضها ذاك المركز. لكنها لم تكن تعبأ بأقواله لأنها تعرف تكتيكاته.

فاجأها بسؤال أخرجها من أفكارها:

ـ ماذا تفعلين في الأمسيات حتى يبدو عليك هذا التعب في اليوم التالي؟ تقومين بوظيفة أخرى؟

ـ ماذا يهمك ما دمت أقوم بعملي بكل كفاءة؟

ـ كنت أكثر من غامضة هذا الصباح لورنا.. أتخفين شيئاً؟

ـ لا شيء... إنني أقوم بأعمالي المنزلية.. وأحب القراءة.

ـ حقاً؟ وما أنواع الكتب؟

وضع يده على ذقنه مسنداً مرفقه إلى الطاولة.. وكأنما ليس لديه مفكرة مليئة بالمواعيد.

ـ كتب علمية، قصص أدبية، بوليسية..

ـ آه.. تجمعين الخيال والعنف في مواجهة الخير والشر. ظننتك عملية التفكير، لا رومانسية.

ـ آسفة.. ربما كان علي قراءة كتب في الميكانيك والآلات حتى أنسجم مع نظرتك إلي.

ـ لقد سبق أن عرضت عليك فرصة الخروج من إطار هذه النظرة.

ـ سيد تيرانت.. إذا كنت تريد أن تتبوأ المرأة مركزاً إدارياً، فلماذا لا تطلب من السيدات التقدم إلى هذا المركز؟

ـ لا أستطيع.. قد أتهم بمحاباة جنسكن... كما أنني لا أريد أية امرأة بل أريدك أنت.

ـ يدهشني هذا.. فقد بدا لي حين عرضت علي المنصب أنك تفعل هذا مكرهاً.

رفع نفسه عن مرفقه بحدة، واستوى في جلسته.. أخيراً أحس بأنه سيصل إلى شيء ما، فهذا هو الرد الوحيد الحقيقي الذي يسمعه منها منذ أسابيع، لقد بات يعتقد أنه فقد تأثيره... إن أية امرأة أخرى كانت ستصبح الآن طوع بنانه... لكن الميزات نفسها التي أقنعته بأن لورنا هاركوت ستكون مساعدة ممتازة له.. جعلتها كذلك منيعة ضد تكتيكاته. إنها تعمل عنده منذ ثلاث سنوات، وهو لا يعرف عنها شيئاً.

لم يكن يهتم بحياتها الشخصية حتى الآن، لكن رفضها البارد لعرضه السخي بدّل كل شيء. لقد أساء بالفعل الحكم على أحد موظفيه، وهذا ما يزعجه.. فماذا أساء في حكمه كذلك؟ أضجره فضوله الذي ثار فجأة، لكنه ما إن يرضي ذلك الفضول، حتى تعود المياه إلى مجاريها كما كانت في السابق. نظر إلى الشعر المشدود إلى الوراء بعيداً عن الوجه الصغير.. إنه أحمر إلى درجة تثير الاهتمام، ويبدو أنه يزداد بريقاً كلما نظر إليه. خاصة حين يقع النور عليه، كما يحدث الآن... كيف بحق الله فاته هذا اللون؟ وكيف سيتمكن من تجاهله مستقبلاً؟ الصهباوات اللاتي عرفهن كن شرسات مزاجيات يحاولن الاستفادة قدر إمكانهن من هذا اللون غير الطبيعي... فلماذا لا تحذو حذوهن؟ ولماذا هي باردة دائماً بشكل لعين؟ لمح في المرات القليلة التي انتزع منها ردة فعل، بعض الانفعال الذي كانت تسيطر عليه بسرعة. ألا ترخي قبضتها أبداً عن تلك السيطرة؟ أهي خائفة من مشاعرها الخاصة؟ أم أنها غير قادرة على التعبير عن تلك المشاعر؟ أهو رجل من جعلها هكذا؟ ترى إلى أي نوع من الرجال تميل؟

وسألها:

ـ ألهذا رفضت؟ انظري إلي لورنا، أعترف أنني كرهت في البداية أن تتركي المكتب لأنني كما أشرت يومذاك، خشيت ألا أجد بديلة

www.elromancia.com

لك، فقد اعتدت على وجودك معي. لكنني كلما أمعنت النظر في الموضوع أكثر.. أزداد اقتناعاً بأن من الإجحاف أن تضيع مواهبك هنا، نعم لا أنكر أن جهودك ستتضاعف لكن أجرك سيوازيه فأمامك المال والسلطة، والنفوذ.. ليتك تعيدين النظر لورنا.

ـ وليتك لا تناديني لورنا، فقد لاحظ الجميع ما تناديني به وهم يستنتجون ما يحلو لهم.

صاح بها:

ـ فليذهبوا جميعاً إلى الجحيم.. إنك تسمحين لستيفن بأن يناديك لورنا!

ـ صحيح.. فهو ليس رئيسي.

ـ لكنه أعلى منك رتبة! يا لتناقضك! يا إلهي كيف تصرين على أن تكوني دائماً صارمة بشكل رهيب!

ـ هذا ما كنت تصرّ عليه.. حتى الآن.

كانت تجد صعوبة في مقاومة تركيبته الحالية، من الذكاء والمنطق والسخط، والخفة والمرح. ما أسهل الاسترخاء والتصرف الطبيعي معه... إيفور على حق، يجب أن تعترف له بكل شيء.. لكن.. ليس بعد.. ليس بعد. وحتى لو اعترفت، فلن تقبل الوظيفة!.

أردف بنعومة، يعكس بشكل غريب أفكارها:

ـ المرء يتغير، يكبر.. ولا يمكنك محاربة التغيير لورنا.. إنه حتمي كالتنفس.. ما كنت أريده منك منذ ثلاث سنوات.. منذ ثلاثة أسابيع يختلف عمّا أريده منك الآن.

كان من حسن حظها أن رن جرس هاتفه الأزرق، الخاص، الذي التقطه مشيراً إليها أن تبقى. وفي اللحظة ذاتها طرق باب الغرفة الذي أطل منه ستيفن، فأشار له وايد بالدخول فتنفست لورنا الصعداء لأن هذا يعني أن الحديث المقلق سيتحول إلى وجهة أخرى.

ـ أولغا.. ألا يمكن لهذا أن ينتظر...

قاطعه صراخ من جهة الخط الآخر. إذن فهذه شقيقته، والدة مايكل. أحست بالاضطراب فالتفتت إلى ستيفن. وقالت بصوت منخفض هامس:

ـ يا إلهي.. من أين لك هذه البذلة.. إنها أشبه بما يرتديه الممثلون.. أهذا هو تأثير صديقتك الممثلة؟

جلس ستيفن على كرسي قربها:

ـ ألا تعجبك؟ مبهرة جداً.. هه؟

ابتسمت له:

ـ تبدو رائعة عليك. مع أنني أعتقد أنها تخالف سياسة الشركة المتعلقة بالملابس اللائقة.

ثم التفتت إلى وايد الذي كان يقول بحدة:

ـ حسن جداً! لكن تذكري أنني لا أملك الوقت الكافي لأحل مشاكلك العائلية!

وتساءلت عما قالته شقيقته حتى انزعج إلى هذا الحد. وحين جاءها السبب انزعجت هي أيضاً.. فقد سأله ستيفن:

ـ مشاكل عائلية مرة أخرى؟

ـ إنه ابن أختي اللعين!

قالت لورنا:

ـ إذا كان الأمر خاص وشخصي؟

ـ اجلسي! لقد سئمت من تهربك مني طوال الوقت، لن تفسدك بضع معلومات شخصية بحق الله! إذا كنت قادرة على أن تمزحي مع ستيفن بصدد صديقته الممثلة، فأنت قادرة على الجلوس هنا والإصغاء إلى مشاكلي.. أنا... كنوع من التغيير!

سأله ستيفن بهدوء حين كان يتبادل النظرات القاسية مع لورنا:

ـ هل هرب من جديد من المدرسة؟ كانت شقيقتك قلقة من

بعض أصدقائه الذين يتعاطون المخدرات. أليس كذلك؟

يتعاطون المخدرات! ارتعبت لورنا.

أجاب وايد:

ـ أستطيع التعامل مع هذه المشكلة لأن للصبي دماغاً يستخدمه. لكن المشكلة التي هو فيها الآن، أن مايكل على علاقة مع امرأة تزيده سنيناً عديدة، وهي أرملة فرنسية الأصل.

كادت لورنا تقع عن كرسيها.. ماذا يقول مايكل بالله عليه؟

ضحك ستيفن:

ـ شرشبه لافام.. هه؟ ابحث عن المرأة؟ أهي الأرملة السوداء؟

ـ أظن أن هذا ما في رأس أولغا، ذهب إلى منزلهم هذا الأسبوع ولم يفعل شيئاً إلا الحديث عن المرأة الخارقة التي التقاها. وراح يكذب ويكذب حتى قلقت أمه، وحين حاولت استدراجه إلى بعض المعلومات ارتد عنها. إن ما يحتاجه هذا الصبي هو بعض الاهتمام الذي على أبويه تأمينه له فليحمني الله من غرام المراهقة!

وكيف للورنا أن تعرف أن هذا سيحصل.. لقد حذرها إيفور من هذا بعد أن تبعها مايكل إلى منزلها، قائلاً: «احذري لورنا.. قد تظنين أنك ترحبين به فقط. لكنك على الأرجح المرأة الأولى الكبيرة التي لا تنتمي إلى عائلته والتي ليست صديقة أمه. إنه في مرحلة خطرة من العمر، خاصة في ما يتعلق بالفتيات.. وأنت تجعلينه يشعر بالراحة.. وقد يقنع نفسه بسهولة بأن علاقته بك مميزة».

استمعت لورنا إليه فقد بدا لها مايكل ظاهرياً سطحياً غير معقد، وقد حدث أن وصلت يوماً إلى المنزل فوجدته جالساً على جدار الحديقة. عندها دعته للدخول لزيارة قصيرة..

لكنها بالطبع لم تكن زيارة قصيرة، فقد بقي لتناول وجبة طعام، ثم شاهد التلفزيون. في البداية كان متوتراً أمام إيفور والولدين، لكن ما إن تخلى عن تظاهره بالحنكة حتى دار بسهولة في دائرة العائلة.

وكان من السهل عليها أن تنسى من هو خاله.

وتكرر هذا.. وراحت لورنا تفكر في الخيارات.. فكرت في أن تطلب منه مغادرة منزلها، لكنها لاحظت أنه مشتاق إلى أهله وعائلته.

وأخيراً قررت أن يستفيد من عطلته.. شرط ألا يعطي جانيت تروتيل رقم هاتف منزل لورنا ليتصل به خاله عندما يعود من السفر. يومذاك أحست بالارتياح أما الآن فباتت تشعر بالرعب لأن ذلك الشاب يبني في خياله علاقة لا أساس لها وهو يتحدث عنها إلى والديه. حمدت الله لأنه أظهر بعض التحفظ. ترى أتكون هذه طريقة أخرى للتلويح بحريته في وجه أمه؟ أم وقع فعلاً في هوى لورنا؟

كان مايكل قد اعتاد على الاتصال بها في المنزل ليتحدث إليها بضع دقائق، لكنها الليلة حين سمعت صوته الصغير الأجش يتصل من المدرسة، سبقت كلامه بحدة:

ـ لا أدري ماذا أخبرت أهلك عني مايكل.. لكنني أعرف أنك أعطيتهما انطباعاً خاطئاً عن علاقتنا. اسمع مايكل أنا لا أحب أن يستغلني أحد، وأظنك تستغلني لتزعج أبويك.

رد بعد صمت قصير:

ـ قلت لهما فقط إنني أمضيت وقتاً طيباً معك.. ولم أذكر اسمك.

ـ المشكلة ليست هنا. فوالداك قلقان بعد أن أوهمتهما بما لا أساس له.

صاح مرتاعاً:

ـ لم أوهمهما بشيء صدقيني. فأنا معجب بك جداً، وأجدك رائعة. فأنت لم تحاولي إحباطي قائلة إنني صغير بل أنت تصغين إلي وكأنني شاب لا ولد. حين أعود إلى المنزل لا أجد أبويّ إلا مشغولين إلى درجة تحول بينهما وبين محادثتي. أما أنت فلديك وظيفة صعبة، ولديك وقت لعائلتك.

ـ مايكل...

قاطعها:

ـ لا ترفضي صداقتي، أرجوك. أعد ألا أقول أي شيء بعد الآن. أعدك، سأكون عاقلاً وسأدرس.. لكن أرجوك دعيني أزورك أحياناً. أستطيع القيام بأشياء كثيرة مفيدة لك.. وأنا ناجح في تسلية الصغيرين.

ضعفت مرة أخرى، فقد كان يتوق إلى أن يكون مفيداً لها... وعلمت أن خيال المراهقة هو الذي دفعه إلى اختلاق بعض التصورات لأبويه. ومع ذلك فقد قررت أن تخفف من اهتمامها به وإصغائها إليه. كما قررت أن تجبره على نسيان أمر تزوير توقيع أهله كما فعل من قبل كلما أراد زيارة «خالته» الجديدة.

خرجت ذلك المساء حتى تركض كعادتها يومياً. بعد أن قطعت ما يقارب الكيلومترين اتخذت منعطفاً آخر حتى تعود أدراجها إلى المنزل. كانت تتمتع بالركض بعد جلوس اليوم كله وراء مكتبها. لم تكن واثقة متى أحست بأن شخصاً ما يلحق بها.. لكن حين التفتت متوقعة أن ترى راكضاً آخر.. تلقت ضربة على فكها جعلتها تخرّ على ركبتيها، وأحست بأن راحتي يديها تتمزقان وهي تحاول منع نفسها من السقوط على الرصيف. ثم ما هي إلا هنيهة حتى تلقت لطمة أخرى جعلت رأسها يصطدم وجعلت الظلمة تضج لحظة في رأسها.

صاحت وصرخت بصوت مرتفع تعالى دويه في الشارع الفارغ. فقد أحست أن الضربة الثانية ستوجه إلى فمها.. فانقلبت إلى جانبها تضرب جسدها بساقين قاسيتين، تمسكت بهما بقوة، لتغرز أصابعها بقسوة فسمعت سباباً غليظاً من فوق رأسها، فصاحت ثانية بعد أن أحست بيد سميكة قاسية تمسك بياقة قميصها وتلويه بعنف، نظرت إلى المصدر دون أن ترى، فكل قصص الرعب والاغتصاب

تراكضت في خيالها.

سمعت صوتاً مخنوقاً آخر من مهاجمها، ثم أحست بألم رهيب في ضلوعها. عادت تصرخ فراح المهاجم من جديد يرفس ويرفس.. حاولت أن تعض اليد التي تمسك بها وتضغط على فمها. يا الله.. أيحاول أن يقتلها؟ كان يسب ويلعن ويقسم بأن يفعل كذا وكذا بها وقد بدأ يجر جسدها المنتفض إلى مكان مظلم في الطريق.

لم تشعر لورنا في حياتها بمثل هذا الخوف والعجز... كان ضخماً كبيراً وكانت تتلوى دون فائدة بين يديه.. فاستجمعت كل ما تبقى لها من قوة لتسحب رأسها من يده ولتطلق صيحة أخيرة مدوية.. ودون أن تصدق سمعت صوتاً وكأنه مرسل من السماء يقول:

ـ هاي.. ماذا يجري هناك؟

إنه صوت رجل، يتناهى إليها من جهة الطريق الأخرى. صوت شاب متحدٌ:

ـ أنت.. هناك.. ماذا تفعل؟

وتحررت.. انهمرت الدموع كالسيل على وجهها، فاستلقت متألمة على جنبها وهي تسمع وقع خطوات مهاجمها يولي هارباً بكل ما أوتي من قوة.

ـ هل أنت بخير..؟ ماذا جرى؟

ساعد الشاب الحافي القدمين، المرتدي الجينز لورنا على الوقوف ثم جرها مترنحة إلى منزلها حيث اتصل إيفور بالشرطة.

وتبع هذا ساعة بطيئة، متشابكة اضطرت فيها لورنا إلى أن تصف مهاجمها أمام الشرطة.. حين وصل الطبيب الذي استدعاه إيفور، عاينها فلم يجد عظاماً مكسورة بل عدة رضات مؤلمة، وكدمات قوية كانت على ضلوعها وجنبها. أما رأسها الذي انشق بسبب وقوعها على الرصيف فقد قطبه قطبتين، ثم مازحها قائلاً إن عينها ستتورم.

لكن الشرطة شكوا في قدرتهم على معرفة الرجل أو إيجاده نظراً لهروبه وللمعلومات الضئيلة التي قدمتها لورنا.. وقد جعلها حوارهم معها تحس بأنها المخطئة لأنها خرجت وحدها ليلاً.

وضعها إيڤور في السرير بعد أن شربت شراباً ساخناً، وهو يهدد ويتوعد... ثم لم تلبث أن غطت في النوم سريعاً، استيقظت منه في الصباح التالي متألمة مرضوضة، لكنها أصرت على الذهاب إلى العمل وذاك بعد أن ألقت نظرة سريعة إلى المرآة، فستغطي الكدمة التي على فكها بالماكياج أما الكدمة التي على عينيها فستسترها النظارة فما كان منها إلا أن تناولت فطوراً سريعاً مع عائلتها، انطلقت بعده مبتسمة تاركة إيڤور وسط محاضرة يلقيها على الولدين بشأن العنف، محاولاً إفهام المقاتلين الصغيرين الغاضبين أن العنف لا يرد بالعنف.

مر الصباح بها على خير حال، إلا أن تأثير المهدىء زال وقت الغداء، فأحست عندئذ بجسدها يصبح صرّة من الألم. حين خرج وايد للغداء، استرخت وراء طاولتها شاكرة الله لأنه أمضى صباحه كله في مراجعة التقارير، تاركاً إياها بطريقة ما لآلامها. بعد أن تناولت سندويشين، ونصف تفاحة، جرّت نفسها حتى تقف وفي نيتها تناول حبوب مسكنة للألم.. وإذ بستيڤن يدخل عليها:

ـ هل عاد وايد من الغداء بعد؟ هاي.. تبدين متعبة بشكل فظيع!

ـ أشكرك على كلماتك الطيبة.. لا.. لم يعد بعد.

ـ ألست على ما يرام؟ هل أحضر لك دواء؟

ارتجفت ارتجافاً كبيراً قبل أن تبدأ لورنا بسرد ما أصابها. حين انتهت لعن اللصوص والمتشردين، ثم أجلسها مكانها وذهب ليحضر لها دواء وماء. لكنه عندما عاد شاهدها تقف فساعدها على تناول الدواء قائلاً:

ـ ألم أطلب منك الجلوس؟

ـ أحس بالألم هنا أيضاً.

أدركت أن ردة فعلها على ذاك الهجوم تظهر الآن بشكل ضعف يجعلها راغبة في البكاء.. كان يجب أن تبقى في منزلها فهي تشعر بالغثيان لمجرد التفكير في ما حدث لها منذ أقل من اثنتي عشرة ساعة.

ـ أيتها السخيفة.. أظنك لم تخبري الريس حتى!

ـ تخبرني؟ ماذا تخبرني؟!

كان «الريس» يقف في الباب عابساً بشدة لأن ستيڤن لهفاً عليها ممسكاً يديها. حررت لورنا بسرعة يديها، لكنه كرر:

ـ ماذا ستخبرني؟

فتح ستيڤن فمه، لكنها سبقته:

ـ سأخبره بنفسي ستيڤن. سأكون على ما يرام الآن أشكر لك اهتمامك.

التفت ستيڤن إلى وايد:

ـ أرسلها إلى منزلها، تكاد تقع وهي واقفة.

ردت لورنا:

ـ إنه يبالغ.

وخرج ستيڤن ليتقدم منها وايد، وقد لاحظ شحوبها لأول مرة:

ـ فيم يبالغ؟ هل أنت مريضة؟ لماذا لم تخبريني بالله عليك؟ لا حاجة بك إلى الشكوى.

ـ لم أسع إليه شاكية.

ما أشد وحشيته وأنانيته، أيصبح بها لأنه سيغدو اليوم دون سكرتيرة.

ـ وماذا أسمي تماسككما؟

تركزت عيناه الزرقاوان الباردتان على وجهها ففكها، ثم انحنى نحوها، وقد زال انزعاجه.

ـ ماذا أصاب وجهك وعينك؟

www.elromancia.com

- وقعت.

- وقعت؟ ما هذه الوقعة اللعينة؟

وأمسك بها يديرها نحو النور فشهقت ألماً لأنه لمس جنبها:

- وهل صدمت جنبك كذلك؟

أسندت لورنا نفسها إلى طاولتها وقد اجتاحتها موجة ألم شديد. وأحست بالدموع تلذع عينيها، فكبحتها كارهة البكاء أمام هذا الرجل.

انسلت يداه إلى كتفيها بنعومة مذهلة قائلاً بصوت ناعم بعد أن علم أنها متألمة حقاً:

- لورنا.. لماذا لا تخبريني؟ هل فعل بك أحدهم هذا؟ من هو؟ هل خرجت مع أحد ليلة أمس؟

- وهل أبدو ممن تتواعد مع المتشردين؟

- متشردين؟ هل هوجمت؟ متى؟

- ليلة أمس.. عندما كنت أركض.

- وحدك؟

- أجل وحدي. ألا يسمح بذلك؟ في مجتمعنا الحر يسمح للنساء بأن يخرجن وحدهن أم من المفترض بنا الجلوس عاجزات في المنازل لأن بعض الرجال لا يستطيعون كبح تهورهم البشع؟ أعتقد أنك ستحملني اللوم قائلاً إن بذلة الركض السميكة الواسعة مغرية لكل مغتصب؟

- يا إلهي.. وهل اغتصبت؟

شحب وجهه الأسمر بشكل ظاهر، ثم راحت عيناه تمعنان فيها النظر أما يداه فانزلقتا عن كتفيها إلى ذراعيها الأنيقتين الناعمتين، حين وصلت قبضته إلى معصميها أدارهما، فشهق وهو يرى خدوش راحتيها.

- لورنا.. إنه لم...؟

- لا. لا..

تعلم أنه لم يصمت تأدباً بل لأنه حائر. فله ولع بالوقائع وبالتفاصيل، ولو اغتصبت حقاً لجعلها تبوح بكل شيء، جف فمها من التفكير في الأمر.

- لقد قاتلته، قاومته، حتى سمع صراخي أحدهم فخرج من منزله ثم لم يلبث أن ولّى المهاجم هارباً.

- هل استدعيت الشرطة؟ هل شاهدك الطبيب؟

رفع راحتيها يعاينهما فردت:

- طبعاً.. وهل أنا حمقاء حتى لا أستدعيه؟

- ستيفن على حق.. يجب أن تكوني في منزلك.

ردَّ يديها بلطف إلى جانبيها، ثم رفع إصبعه ليلمس الضربة على فكها.. وقال بنعومة:

- أضربك على وجهك؟

هزت رأسها:

- ووقعت.. فرفسني عدة مرات لكنه لم يصبني.

- ليت يديَّ تقعان على هذا النذل.. ماذا قالت الشرطة؟

- لم أستطع أن أتعرف إليه. وقد قالوا لي إنه ما كان عليّ الركض وحدي.

- هذا صحيح.

وعاد ليلمس خدها، يلاحظ للمرة الأولى أن هناك بعض النمش تحت الماكياج الذي تضعه آنسته الدمثة لكن هذا لم يغير في مظهرها شيئاً.. بل بدت فجأة أصغر عمراً وأقل قدرة، فثمة دلائل خوف في عينيها الواثقتين عادة.. وقلق جديد بسبب تعرضها للخطر، جذبه إليها بشكل غريب. إنها ناعمة صغيرة الجسم، كما لاحظ... واجهتها الباردة الهادئة هي التي أظهرتها أكبر عمراً. إنها الآن تبدو بحاجة إلى قوة رجل وتفهمه... لذا لا عجب في أن ستيف أمسك بيديها بعد أن علت وجهه تلك النظرة المهتمة، فهو يميل الآن إلى أن

www.elromancia.com

يحذو حذوه. اوه.. الحمد لله لأنها مقاتلة.. فلن تستسلم بسهولة.. لا لمهاجم أو لحبيب.

وما الذي حمله إلى هذه الفكرة؟ إنها على كل الأحوال بحاجة لمن يحميها من الأخطار التي قد تحدق بها من جراء ثقتها الزائدة بالنفس.

بعد محاضرة في أصول التصرف، خاصة مع الرجال فاجأها بسؤاله:

ـ إذا كنت ستستمرين على هذا المنوال يجب أن تكوني مستعدة.. هل قمت ببعض التمارين للدفاع عن النفس؟

ـ سأسعى إليها الآن.

لن تتوقف عن رياضة الركض.. لكنها لا تريد أيضاً أن تبقى خائفة من عجزها في مواجهة عدوان رجل.

ابتسم لها باستحسان:

ـ حسناً. أكان معك أحد في المنزل ليلة أمس؟

لم يتصورها وحيدة خائفة في منزلها.

ـ أجل. أرجوك لا ترتبك.. فالناس يتلقون مثل هذه الاعتداءات طوال الوقت.

ـ لكن ليس من هم لي.

هذه هي العجرفة التي تعرفها عنه:

ـ وماذا عليّ أن أفعل؟ هل أكتب على عارضة «أملاك وايد تيرانت»؟

ـ نعم إذا كان يبعد عنك الهجوم... ربما يجب أن أشتري للعاملين عندي قمصاناً أكتب عليها اسم الشركة.

ـ لا أظن أن السيد أندرسون سيوافق على هذا التبذير.

ـ لكن السيد أندرسون يعرف تماماً أنك تساوين وزنك ذهباً... ولا يرغب في خسارتك. والآن، عليك أن تذهبي إلى منزلك وإن

اضطررت أنا أن أوصلك. فكوني فتاة طيبة وافعلي ما أقوله لك.. هه؟

هذه هي المرة الثانية خلال مدة تقل عن الساعة يقول لها «فتاة» فقالت، كأنما تؤكد لنفسها:

ـ كيف أكون «فتاة» وأنا في مثل هذا العمر.

ـ أعتذر سيدتي..

لم يفكر في عمرها، فهي لا تبدو في الثلاثين.

ـ كم عمرك؟

ـ أنا في الث... اوه لا.. لن تخدعني بسهولة سيد تيرانت.

وهزت إصبعها في وجهه موبخة.. كان تصرفها الخجول هذا غريباً على تصرفاتها عادة فانتفض وهو يطالعه. لكنه راح بحزم يقودها إلى صف المصاعد وضغط الزر.

أمسك يدها ثم دس فيها بعض المال:

ـ هاك بعض المال. ثمة موقف لسيارات الأجرة خارج الشركة، أريد أن تستقلي إحداها كما أريد منك أن تتصلي بي صباحاً لأطمئن عليك.

بدأ ألم رأسها الآن يعميها، لكنها تماسكت قدر ما تستطيع لتسيطر على نفسها.. فالتوى فمه بحنان ظاهر:

ـ هيا لورنا.

انقلب المثال الذي يحتذى به في الهدوء في مكتبه إلى مولعة بالمرح والجدل فتساءل عما إذا كان السبب الضربة التي تلقتها على رأسها أم أن الألم والدواء يعطيان لمحة عن لورنا هاركوت الحقيقية. ومهما يكن الحال.. إنه يعلم أنها ستندم في الغد، وفي المرة القادمة التي سيراها فيها سيرى ذلك النموذج المثال البارد ثانية.

انفتحت أبواب المصعد فدفعها إلى الداخل وقال آمراً:

ـ إلى البيت، ومنه إلى الفراش مباشرة.

www.elromancia.com

كانت تحاول إيجاد رد مضحك آخر حين أغلق الباب.. أما هو فعاد إلى مكتبه في مزاج حسن وقد عامل السكرتيرة المؤقتة التي أرسلت له من دائرة الطباعة بلطف، وهذا أمر غريب.

نزلت لورنا في المصعد متسائلة عن سبب لطفه هذا؟

أن يكون وايد تيرانت لطيفاً لأمر فيه تناقض.. فهي لا تعرف سوى وايد تيرانت الخطر!

* * *

٥ ـ سيد لا يقاوم

لم تتنزع تحية لورنا الباردة الحازمة في الصباح التالي رداً غير مبال. فعوضاً عن الدخول رأساً في برنامج العمل اليومي، كالعادة، ارتد وايد تيرانت في مقعده، واضعاً يديه على طاولته متأملاً مظهرها الرسمي.

ابتسم:

ـ إذن عادت حليمة...

أصلحت له بسرعة وحزم:

ـ بل عادت لورنا إلى عادتها.

ـ إذا كنت أنت لورنا.. فمن كانت تلك السيدة الخائفة التي كانت هنا بالأمس؟

ردت ببرود:

ـ ليس لدي أدنى فكرة.

ازداد الأمر سوءاً أكثر مما تصورت.. إنه يتعمد الخروج من ذلك الدور الآمن التقليدي الذي تبناه منذ وقت طويل متمتعاً بإزعاجها بمزاحه. لكن ما راعها أكثر، أن جزءاً صغيراً منها كان يريد الاستجابة.

ـ أمر مؤسف.. لقد كانت ذكية!

ذكية! أحست بالغضب.. فما حاجة امرأة في الثلاثين للذكاء؟ ابتلعت رداً لاذعاً، وتجاهلت ما قاله:

www.elromancia.com

ـ أتريد البدء بالرسائل الآن؟ لديك موعد بعد نصف ساعة...

ـ كيف حال رأسك؟ خدك ما زال على ما هو عليه.. هل رأيت الطبيب ثانية؟

أربكها الانقلاب من السخرية إلى الاهتمام، حتى اعترفت بأن وجهها يؤلمها قليلاً. بعد عشر دقائق كانت في مكتب طبيب الشركة يجري لها فحصاً دقيقاً. حين عادت إلى مكتبها وجدت كومة أوراق مغطاة بلائحة، بخط وايد، فيها أسماء النوادي التي تدرب على الدفاع عن النفس في المدينة.. فعبست وهي ترى ما يريد فعله. أيحاول إجبارها على التعلق به بهذا الاهتمام؟.. أحست برعدة تجتاح ظهرها، كما أحست بأنها تسير على حبل مرتفع، تحفه المشاكل وليس تحته شبكة للوقاية. ومع ذلك حاولت الحفاظ على توازنها.

لكن توازنها لم يدم طويلاً، فبعد أسبوع من التهجم عليها، برزت أزمة أجبرت لورنا على البقاء في المكتب إلى ما بعد ساعات العمل. لم تفكر في المعارضة لأن أرواح بعض الناس كانت على المحك.

كانت أولى بوادر الأزمة اتصالاً من وكالة أنباء في لندن.. تسأل عما إذا كان لشركة وايد تيرانت، بعثة في غواتيمالا تبحث أمر إنشاء مصنع نسيج هناك؟ فلما كان الرد إيجاباً جاءهم السؤال التالي عما إذا كان وايد يعرف أن بعثته تأخرت في الوصول إلى المكان الذي يفترض أن يبنى المصنع فيه، وهو مكان اكتظت فيه تحركات عسكرية؟ وهذا ما لم يستطع الرد عليه... ثم سألوه عما إذا سمع تقارير عن الثوار الذين ضربوا المنطقة وحملوا معهم رهائن من بينهم بعض الإنكليز.

أنهى وايد المكالمة متجهماً.. وكانت الساعات التالية طويلة محبطة... فقد علم أن البعثة تأخرت فعلاً في الوصول إلى المكان. فمن المفترض أن يزوروا الأرض التي سيبنى عليها المصنع، لكن الإدارة لم تهتم بالأمر، لأن الشركاء سينقلون المبعوثين الأربعة بالسيارة، ولا مجال للاتصال بهم في أمكنة نائية.

وقال وايد لمدير قسم شؤون الموظفين:

ـ من الأفضل أن تظهر بعض القلق منذ الآن. اتصل بجماعتنا هناك، واسألهم عن بعض المعلومات المتعلقة بالرهائن الذين احتجزهم الثوار، مستخدماً أية وسيلة ممكنة.

اتصل وايد وبإصرار دؤوب بالمصادر الحكومية التي يعرفها.. لكن الآلة البيروقراطية عادة بطيئة الحركة وحين بدأت نتائج الاتصالات تؤتي أكلها، كانت ضئيلة جداً. فقد حاولت حكومة غواتيمالا أن تمنع تسرب المعلومات، وإن لم تبعث بريطانيا بعثة دبلوماسية فلن تستطيع الضغط مباشرة على جميع التحركات إلا عبر السفارة الأميركية.

أطاعت لورنا تعليمات وايد بدقة، وتعاملت مع الأمور اليومية العادية بنفسها حتى يستطيع أن يركز على الدلائل المراوغة... عندما حلت الساعة السادسة، أرسل وايد مساعده ستيفن لزيارة عوائل البعثة ليطمئن الأهالي على أن الشركة تبذل أقصى جهودها لحل المعضلة، أما لورنا فاتصلت بإيفور لتقول له ألا يتوقع قدومها إلا في وقت متأخر، مع أن وايد، طلب منها من غير وعي العودة إلى منزلها، لكنها تجاهلته بهدوء.. فهو بحاجة لمن يكون معه حتى يخفف من إحباطه، إنسان يشاركه الراحة، أو القلق، حين تدعو الحاجة. لذلك غضت النظر عن تهجماته لأنه يحتاج إلى تنفيس كربه.

حين اقترحت عليه طلب بعض الطعام من المطعم المجاور لمبنى الشركة صاح بها:

ـ لست جائعاً.. احضري ما تأكلينه أنت إذا أردت.

واستدار يتابع اتصالاً كان قد بدأه:

ـ كرونويل.. هل من أخبار؟

انتظرته حتى أنهى حديثه غير المثمر.

ـ يجب أن تتناول شيئاً.. أنت لم تأكل طوال النهار.

ـ قلت لك إنني غير جائع.. كما أظنني طلبت منك منذ ساعات العودة إلى منزلك... فلن تنالي أجراً على الساعات الإضافية.. أتعلمين هذا؟

ارتدت على عقبيها وخرجت.. لكن، بعد نصف ساعة عادت تحمل صينية مغطاة وضعتها على طاولة القهوة... فقطب وايد قائلاً بخشونة:

ـ ظننتك عدت إلى منزلك.

ردت عليه ببرود:

ـ اعتدت على عضّك لذا لن يرهبني نباحك!

على الرغم من الظلام الدامس خارجاً وعلى الرغم من أنهما وحيدين في الشركة لم تخشه لأنها تعرف أنه متعب وقلق، فلا ضير إذن من التعاطف معه ومؤاساته. فهي مدينة ببعض الجميل.

أشار إلى الصينية:

ـ ما هذا؟

ـ دجاج وأرز بالزعفران.

فتح فمه معترضاً لكنها قاطعته وهي ترفع الغطاء عن الطعام:

ـ إنه لي.. لكن فيه إذا غيرت رأيك ما يكفي طاعمَيْن اثنين.

ـ أراهن على أن هناك ما يكفي.

إنه يعي تماماً خططها، وهي خطط ناجحة على الأرجح. فقد بدأت رائحة الطعام تدغدغ أنفه، ومعدته راحت تتفكك، فخفف بذلك الجوع من توتره... لكن سرعان ما عاد إليه التوتر حين رن جرس الهاتف قاتلاً هدوء الغرفة.. راقبته يتوقف عن الطعام ليتناول السماعة كارهاً متعباً:

ـ نعم؟

أصغى بتركيز شديد، بوجه جامد كالصخر حتى لم تجرؤ على التنفس كثيراً.. أهذه هي المكالمة التي يخشونها؟ حين وضع السماعة

أخيراً قالت متوترة:

ـ حسناً؟

وقف.. يرجع ظهره إلى الخلف متمدداً فارعاً عنقه المتألم العضلات:

ـ ثمة رهائن خمس. لكنهم ليسوا من شركتنا، بل هم بعثة طبية. أما أفراد بعثتنا فنجهل مكانهم إلا أننا نعرف أنهم ما زالوا أحياء طلقاء. يبدو أن الجيش في تلك المنطقة يمنع دخول أو خروج أي كان ومن هنا حدث الالتباس.. ربما تمر أيام قبل أن نعرف شيئاً مؤكداً، إن وزارة الخارجية تضغط للوصول إلى معلومات أكيدة عن سلامتهم وللسعي لإطلاق سراح الرهائن.

ـ وماذا علينا الآن؟

ـ الانتظار مرة أخرى.. لكننا لن نسمع على ما أعتقد أخباراً الليلة فلنته طعامنا، أكاد أموت جوعاً.

سألها فجأة وهو يسترخي في المقعد الجلدي العريض حيث جلسا جنباً إلى جنب:

ـ هل أعض فعلاً؟

ـ دائماً.

ـ لماذا لا تردين عليّ بعضة أسوأ؟

ـ قد أحطم أسناني في لحمك.

ـ قد تُدهشين حين تجدين لحمي هشاً في بعض الأماكن.

ـ أفضّل أن أترك الكلاب نائمة.. فلا يمكن التنبؤ بما قد يحدث لو أيقظتها.

بدأت تلملم الصحون وتضعها فوق الصينية:

ـ دعيها بالله عليك.. ستفعلين هذا في ما بعد.. تعالى وتمتعي بفن الاسترخاء..

ردت بسخرية:

ـ الحديث معك رائع.. لكنني أفضل الاسترخاء في المنزل..

تمدد فوق المقعد:

ـ لكنني مستريح هنا.

سألته قلقة من جراء نبرة صوته الناعمة، تحاول تغيير الموضوع:

ـ هل سنسمع أخباراً صباحاً؟ هل أحضر باكراً؟

ابتسم بكسل:

ـ لا تحولي وجهة الموضوع.

ـ لم أحوله.. فقط..

ـ بل كنت تحوّلينه بكل تأكيد. وهذا ما تفعلينه دائماً. والغريب أنك تنجحين في كل مرة بمهارة حتى أكاد أنسى أن هناك من أود تمزيقه.. ثمة أناس عديدون في هذه الشركة مدينون ببقائهم هنا لقدرتك على ترويض الوحش الكاسر فيَّ.. أو على إلهائه بعض الشيء.

ـ إذا كانت هذه محاولة أخرى منك لإقناعي بأنني أضيع مواهبي بالعمل كسكرتيرة...

ـ أبداً.. لقد عدلت عن رأيي وقررت أنني أفضلك سكرتيرة.

سألته مرتابة:

ـ صحيح؟

ـ أجل.. لدي إحساس بأنني لو أعطيتك طعم الحرية لغلبك طعم السلطة ولوجدت ربما نفسي بعد سنة مضطراً للدفاع عن منصبي.

صاحت منزعجة من بسمته الخفيفة الساخرة..

ـ ليتك جاد.

ـ لماذا؟ ما الذي يهمك؟ أعترف أخيراً أن عنادك أقوى من عنادي... لكن لماذا لا تخففين من جديتك، أتريدين ضربة على الرأس حتى أنتزع منك بسمة عادية؟ تأملي نفسك أنت.. كلوح خشب.. لماذا تخافين من الاسترخاء؟ أهو محرم؟ أتنتمين إلى

جماعة سرّية من مبادئها التصلب الدائم؟

ـ لا تكن سخيفاً.. لكنني أعتقد أن علينا ألا..

تضرّج وجهها وهي ترى ضحكته العميقة. أحنى جسده ليواجهها، فلم يبق بينهما سوى سنتمترات.. لكنها أحست وكأنه يرمي بثقله عليها. وسألها ساخراً:

ـ لماذا آنسة هاركوت.. ما الذي تشيرين إليه؟

وصدم ركبته متعمداً بركبتها، فجاء ارتداد ركبتها آلياً.

رفع حاجبيه متسائلاً:

ـ أتلمحين إلى أنك تجدين ما هو غير محتشم في الاسترخاء معاً؟ ربما المسألة تعتمد على المكان الذي نسترخي فيه. لا أرى ضرراً في أريكة المكتب التي أراها قصيرة جداً على ما تفكرين فيه... مع أن فيها إمكانيات قد لا نتوقعها.

أصبح وجهها بلون شعرها.. فأضاف بصوت ضاحك:

ـ أتعلمين أن النمش في وجهك يبرز حين تغضبين؟

شكرت ربها لأن رنين الهاتف قطع عليه مزاحه المزعج. لكن المكالمة كانت لها... أهو إيڤور:

ـ سأتحدث إليه من مكتبي.

ـ لا.. تحدثي هنا، وأسرعي.. أريد أن تبقى الخطوط حرة.. لعل وعسى... هل أكلمه عنك؟

إذن هو إيڤور، أيكون أحد الصبيين مريضاً؟ انتزعت السماعة منه وردت بقلق:

ـ لورنا؟

انتفضت مستوية.. تحدق مرعوبة إلى وايد الذي لم يتحرك ليترك لها مجال الوحدة.

ـ روبير؟

نسيت أنه قادم لزيارتها الليلة.. لا.. ربما النسيان ليست الكلمة

المناسبة، كانت تكره مقابلته ثانية، ولقد رحب عقلها الباطني بتأخير المواجهة فدفع بذكراه إلى الخفاء.

ـ لورنا.. هل ستؤخرك المشكلة التي حدثني عنها إيفور طويلاً؟ لن تفعلي شيئاً ببقائك هناك؟ أنتظرك منذ ساعات.

كانت تعي الاهتمام الشديد الذي يصبه وايد عليها لذا عمدت إلى أن تشيح وجهها عنه وقالت بصوت خفيض:

ـ آسفة.. آسفة روبير.. لكنني لا أستطيع ترك العمل بعد... يجب أن نؤجل لقاءنا إلى وقت آخر.

ـ وقت آخر؟ لورنا.. تعرفين أنني أتيت إلى هنا لأتحدث، فليس لدي عمل في لندن. وأنا سأسافر غداً إلى أستراليا. أليس مستقبلنا بأهم من شركة تيرانت؟ خاصة وأنكم جميعاً لن تقدروا على فعل شيء الليلة..

همست له بحدة:

ـ ليس لنا مستقبل روبير.. لقد تناقشنا من قبل، وما عاد هناك ما نزيد عليه.

ـ كيف تقولين هذا؟ أعتقد أنه أصبح لدينا ما نناقشه فقد أمهلتك الوقت الكافي للتفكير و...

ـ روبير! لقد سئمت من تصرفك. إنك تعاملني كطفلة.. لقد اتخذت قراري منذ أسابيع.. وليس بيدي حيلة.

أحست بالسعادة السرّية للحيرة التي بدت على وجه وايد حين حوّلت الحديث مع روبير إلى الفرنسية. أردفت تستخدم الكلام العنيف حين لم ينفع اللطيف منه:

ـ لن أتزوجك أبداً، لكن ربما نصل إلى اتفاق...

ـ اتفاق..؟ عمّ تتكلمين لورنا؟

أجابت ببرود:

ـ لمَ نزعج أنفسنا بالزواج؟ إنه ممل جداً، لا ترافقه إلا

المشاكل... لماذا لا أصبح عشيقتك فقط؟ حين تأتي إلى هنا، أقيم معك في فندقك.. أليست هذه بفكرة رائعة؟

ساد صمت عميق.. مسكين روبير.. فلقد صدمته حقاً هذه المرة. قال:

ـ إنها نكتة رديئة لورنا، إنها تلويث لشرف جاك وتلويث لشرف إيفور وتلويث لشرف ولديك وإهانة لي.

كيف يجرؤ على ذكر جاك.. ويقارنه بنفسه.. المنافق..

ـ آسفة روبير، لكنه عرضي الأخير، اقبله أو ارفضه.

ـ لقد خاب أملي فيك لورنا..

ـ وكيف تعرف.. فأنت لم تجربني بعد!

وضعت السماعة مكانها... ذلك الغبي!

ـ انتهيت؟

ـ أجل.

ـ ألا تعلمين أن من سوء الخلق الحديث بلغة غريبة أمام من لا يفهمها؟

ـ ومن سوء الخلق أيضاً محاولة استراق السمع على محادثات الناس الخاصة.

ـ لقد رتبت أنت حياتك العاطفية عن طريق مكتبي وهاتفي فكيف لا أسمح لنفسي باستراق السمع؟

فغرت لورنا فاها فلكنته الفرنسية بارزة، إلا أن لغته سليمة متينة.

ـ أيها الوحش؟ كيف تجرؤ على هذا؟

احمرّ وجهها، ثم إصفرّ، ولم يلبث حتى شحب من شدة الغضب.

ـ كيف أجرؤ على التحدث بالفرنسية.. أنت مغرورة لورنا. لماذا اعتقدت أنني لا أجيد الفرنسية؟ ألأنني تركت المدرسة وأنا في الرابعة عشرة؟ أنا لمعلوماتك أتحدث اليابانية أيضاً.

ارتجفت من الغضب:

ـ لماذا لم تقل شيئاً.. أيها.. أيها..

تذكرت بفزع ما قالته لروبير، وما كشفت عنه.. رد بصوت ناعم جعل قلبها يغوص:

ـ لقد تسمّرت.. ليس فقط بما كنت تحاولين إخفاءه، بل بالطريقة التي حاولت فيها إخفاؤه. كنت تريدين أن تضعينا كلينا عند حدنا.. لكنك هذه المرة قضمت قضمة كبيرة.. فأنا لست ممن يوضع عند حده إلا حين أشاء. عكس ذلك المنحرف المسكين.

خطت خطوة نحوه ثم توقفت.. عيناها تلمعان كنار خضراء، وخصل حمراء من شعرها تنسل من العقدة.

ـ ليس هناك ما هو مسكين في روبير، أؤكد لك. على المرأة التي ستتزوجه أن تكون ملاكاً للـ...

تركت يده بسرعة، فارتدت إلى الخلف، لكنه استطاع إمساك النظارة وإبعادها عن وجهها. أصبحت النظارة في يده وتركزت عيناه على وجهها. فقال حانقاً:

ـ يا إلهي.. علمت الآن لماذا اعتقدت أن هناك شيئاً ما.. شيئاً مختلفاً لم أستطع معرفته مع أنه كان أمام عيني طوال الوقت... أنت الصهباء التي كانت في المطعم.. أذكر عينيك... وأشياء أخرى.. طبعاً.

انخفضت عيناه إلى جسدها.. فقالت بصوت متهدج:

ـ سيد تيرانت..

لكن ابتسامته كانت كريهة وهو يسأل:

ـ أهو ذلك المسكين روبير، الذي هجرته من أجل ابن أختي؟ لا أستغرب رغبته في كبح حريتك.

أغمضت عينيها بسرعة، اوه.. لا.. سيعرف الآن أنها المرأة الفرنسية التي يتحدث عنها مايكل. لكن وايد كان على موجة مختلفة

تماماً. إذ قال لها:

ـ لقد عرفتني.. فلماذا لم تقولي شيئاً؟ أكنت محرجة؟ أم في شوق لتذوق طعم عناقي.. أكان من الأسلم أن تعانقيني في الظلام. أهذه هي المسألة لورنا؟

ـ سيد تيرانت.. أنت مخطىء...

ـ حقاً؟ حسناً.. ثمة طريقة لمعرفة الحقيقة.

ـ ما.. ماذا تعني..

ـ أعني أن عناق المرأة كبصماتها.. لا يتغير أبداً.

ارتدت إلى الوراء:

ـ لا.. لا... سيد تيرانت.. أنا..

كانت تحاول أن تشرح له.. لكنه أمسك مرفقيها وشدها إلى الأمام.

ـ تأخر الوقت على الشرح لورنا.. وما عدت قادرة على خداعي بعد. فأنا في شوق كبير إلى هذا العناق.

ـ كنت أنا، بكل تأكيد!.. فلا تحاول..

واختنق صوتها فوق صدره بعد أن ضمها إليه.. كانت ذراعاه لطيفتين، ومألوفتين لها. حتى أحست بأنفاسها تهن وتهن.. ومقاومتها تتلاشى وتتلاشى فقد تسللت يداه إلى خصرها ليجذبها إليه.

تملكها دوار بعد البهجة الحلوة الجادة التي تمتعت بها من قبل بين ذراعيه. فحاولت أن تنساها.. ونجحت.. أما الآن فتذكرت وتاقت إلى المزيد.. لكنها عادت تحاول المقاومة والجمود حتى تخمد النيران البطيئة التي بدأت تستعر في عروقها:

ـ سيد.. تيرانت.. سيدي... وايد..

لكنه ضحك، وتمتم بخشونة في أذنها:

ـ مقاومة المحكوم عليه بالإعدام.

لم تكن لورنا تعلم من قبل أن أذنيها نقطة إثارة حساسة... فارتجفت وهي تشعر بدغدغة ثم لم تلبث أن شعرت بصدرها يعلو ويهبط بسرعة.. وكأنه أحس بمشاعرها، فأمسكها فوق خصرها مباشرة وراح يضغط عليها..

أحست لورنا بإحباط لذيذ، ورغبة عارمة في المقاومة، والرفس، والضرب، والقتال... ثم الاستسلام.

فجأة تحررت، ووقفا فجأة يتبادلان النظرات وهما يتنفسان بحدة.. لا تفصلهما إلا ستمترات قليلة، كانت مليئة بالإشعاعات الكهربائية وبحقل مغناطيسي حي بالتوتر والرغبة.

ـ ربما نسيت شغلك.. لكنني لم أنس عناقك الملائكي... كفى كذباً لورنا...

ـ ما كنت أكذب.. لم أقصد الإنكار. لم تكن بحاجة إلى معانقتي.

ـ وكيف تعرفين ما أنا بحاجة إليه؟

قالت له بهدوء:

ـ هل لك أن تعيد لي نظارتي.. أرجوك؟

مدت يدها لتنتزع النظارة من يده، فلمّا لاحظ ارتجاف يدها سألها ساخراً:

ـ لماذا؟ ألا تستطيعين رؤيتي جيداً؟ أهذا عذرك في تلك الليلة؟ هل أنت قصيرة البصر أم طويلته؟

مسح أمام رعبها زجاجتي النظارة على قميصه، ثم رفعها أمام الضوء لكن الابتسامة تسمّرت على وجهه ثم لم يلبث أن التفت إليها:

ـ ما هي لعبتك بالله عليك؟

ما عاد يهمها شيء فقد انتهت وظيفتها فلن يسمح لها بالعمل عنده بعد الآن. قالت تنظر إليه بجرأة:

ـ أنت من وضعت الشروط.

ـ أنا؟ أنا من جعلك تضعين نظارة لا تحتاجينها؟ أنا من جعلك تربطين شعرك كرجل صيني. لا أستغرب عدم التعرف إليك... يا آنستي المزيفة.. أتدعين أنني من طلب منك التمثيل علي؟

ـ لا.. لم تطلب مني.. لكن هذا ما كنت تتوقعه. أليس كذلك؟

أحست بالسعادة لانفضاح الأمر وبروزه إلى الضوء.. لم تكن تدرك مدى كرهها لهذه الحياة المزدوجة التي تعيشها حتى الساعة. كانت تظن أنها حياة تناسبها.. لكنها مخطئة ولقد سئمت منها..

ـ ألم تتساءل مرة.. لماذا.. وجدتني مناسبة لهذه الوظيفة؟ طبعاً لا.. فعجرفتك تركتك تعتقدني مخلوقة على هذه الأرض لغرض وحيد: أن أكون سكرتيرتك... حسناً.. لقد تقمصت هذه الشخصية حتى أناسب ذوقك!

ثم طفقت تروي له تفاصيل مختصرة عما سمعته منه ومن ستيفن في مقهى المطعم، متمتعة بصدمته.

ـ لم ترغب في امرأة، بل رغبت في.. في شيء! وأنا كنت بحاجة للمال الذي تعرضه.

ـ تكبدت هذه المشاق لترضي شهوتك للمال؟

سرعان ما عرفت ما يفكر فيه.. فقالت بازدراء:

ـ وهل هناك من سبب آخر؟ ما كنت ستثق بامرأة عادية... وما كانت لتجتاز «امتحانك»! أيها السيد الذي لا يقاوم... أيها الواثق بأن كل امرأة تخطو إلى مكتبك ستكون رهن إشارة من إصبعك أو ربما دون إشارة.

سرّها أن تلاحظ خطان أحمران يتسللان من فكيه إلى وجنتيه... رد عليها بحدة:

ـ أنا واثق بأنني ما كنت لأوافق على صهباء جذابة. لكن.. لماذا أزعجت نفسك وأطلت التمثيلية؟ لماذا لم تعترفي بعد أن أثبت جدارتك؟

www.liilas-romancia.com

ـ اوه.. كنت عندها ستتهمني بأنني اتخذت هذا المظهر لأتسلل إلى الوظيفة ومنها إلى إغوائك وذلك بعد أن أكشف عن جمالي المخبأ!

انزعج من سخريتها، وقال مركزاً على كلامه:

ـ قلت جذابة ولم أقل جميلة... ما كنت لأهتم بمظهرك بعد أن أثبت جدارتك، أنا لست ذلك الطاغية المتعصب، أو ذلك المتعجرف.

كانت كلماته الأخيرة أقل خشونة، وقد بدأ يدرك سخرية الموقف الهزلي... فنظر إلى لورنا دهشاً من عماه الذي طال هذه المدة كلها... إلا أنها لم تلاحظ التغيير الذي طرأ على لهجته:

ـ هذا ما تقوله الآن.. فكيف لي أن أعرف؟ كنت تتكلم دائماً عن أهمية الصدق والإخلاص فخشيت إن عرفت الحقيقة أن تطردني حالاً.

رد بنعومة:

ـ وكيف تعرفين أنني لن أطردك الآن؟ ألأنني عانقتك؟ عانقت نساء من قبل، وطردتهن.

ـ أعرف تماماً تقلبك وعدم ولائك لأحد. لكنك لن تستطيع طردي فأنا مستقيلة!

دوت كلماتها في الغرفة بذبذبة عالية سريعة، لكنها سرعان ما ندمت.

توجه إلى النافذة فشعرت مع كل خطوة يخطوها بالبرد يجتاحها. إنها لا تريد أن تخسر وظيفتها.. فعلى الرغم من العمل الشاق، والتوتر، والرجل الذي لا يطاق، الواقف محدقاً في الظلام تحب وظيفتها.

المال هو السبب الرئيسي طبعاً لعدم التخلي عن الوظيفة... لاحظت أنها تمسك أنفاسها، لكنها لم تستطع إجبار نفسها على

إصدار كلمة ندم أو دفاع.. لن تزحف أمامه.. ربما خدعته، إنما لم تستخدم طريقة تقلل من مركزه كرئيس لشركة تيرانت.

ـ لا يمكنك الاستقالة.

اصطدمت كلماته الباردة بالزجاج أمامه وارتدت نحوها، في وقت ظنت نفسها فيه ستغيب عن الوعي.

ـ ولمَ لا؟

انتفضت حين استدار مواجهاً.. فقد كان يبتسم ابتسامة واثقة متفهمة، بعد أن قرأ المزيج من الأمل والتحدي في نظرتها القلقة.

ـ لأنني بحاجة ماسة لك، فنحن فريق عمل جيد لا يجب أن تنفصم عراه.

تقدم نحوها ويداه مفتوحتان، فارتابت لورنا في دوافعه، فليس من عادته التراجع بسرعة. فما خطته؟

ـ تعالي.. لقد اعترفت بأنني أقرّ عملك، ألا يمكنك تفهم الوضع الذي كنت عليه بسبب تلك النساء اللعينات اللاتي أفقدنني عقلي.

إنه يدعوها للمشاركة إلى مرحه بطريقة أذابت مقاومتها، مع أنها لا تريد أن تقاوم على أي حال. فقالت مبتسمة:

ـ كنت أعتقد الأمر معكوساً.

ضحك وهو يغطي تقدمه المتواضع بسهولة المنتصر:

ـ ولهذا يجب أن تبقي، فكري فيه كنوع من الدرع الواقي... وأنقذي من هم أقل مناعة منك من رعب جنوني.

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ بحار عينيها

الجنون! تساءلت لورنا في ما بعد عما إذا كانت تعاني منه، فلماذا لم تغتنم الفرصة لتبوح له بالحقيقة كاملة؟..

ربما يجدها ذكية، أو ربما تقبل حقيقة جاذبيتها لكن هل سيسامحها ثانية، عندما يعرف ما هو مستتر حتى هذا الوقت.

المشكلة الآن، أنه يتوقع منها أن تغيّر تصرفها.. ففي الأمس حين أعاد إليها النظارة قال إن عليها الاستغناء عنها، فردت:

ـ كنت أفكر في أن أستمر بوضعها.. فقد يظن بي الناس أسوأ الظنون إذا...

ـ وستزداد ظنونهم لو شاهدوني أمزقهم وأنا أبعدهم عنك.. أعترف أنني سأشعر بالسعادة، لأنني الوحيد الذي سأعرف حقيقة تنكرك هذا.. أجل.. الأجدر بك أن تستمري هكذا... لكن، ادعي أنك اكتشفت مزيّن شعر جديد، إضافة إلى محل «عدسات طبية» دون ذكر اسم ينبوع الشباب هذا لأنك ستكونين مثار حسد موظفات المبنى.

ردت ببرود:

ـ لن يكون التغيير أعجوبة، فأنت تعرف عمري.

ـ كم عمرك إذن؟ أنت تبدين بجمالك هذا صغيرة.

ـ أنا في الثلاثين، لقد بلغت الثلاثين حين التقينا في المطعم.

ـ ما أسعدني لأنني شاركتك الاحتفال بعيد مولدك. هل قدم لك

روبير المسكين هدية مثيرة كهديتي؟

ـ قدم لي خاتم خطوبة.

ـ إن هذا مخيب لآمالك فقد كنت تتوقعين مفتاح غرفة فندقه!

ـ قولك مضحك..

ـ حين تتعرفين إلي ستجدين عندي مرحاً كثيراً.

ـ سيد تيرانت.

ـ ناديني وايد.. كوني رسمية ما شئت حين يكون معنا أحد.. لكن حذار منها حين نكون وحدنا، فقد تجاوزنا مرحلة «سيدي».

وهذا ما كانت تخشاه:

ـ لماذا يتملكني شعور بأنك تسعى حتى أقع في حبائل خطة ما.

ـ الشعور متبادل حبيبتي! أنسيت خطتك العظيمة؟

ـ هل ستذكرني بهذا كلما...

ـ تخاصمنا؟ حسناً لن أذكره شرط أن نبدأ علاقة جديدة من الصفر. هل اتفقنا؟

الفكرة جيدة لكن لورنا قطبت، فثمة ثغرة ما في مكان ما. لكن ليتها تملك الوقت الكافي لاكتشافها.

ـ من الآن فصاعداً.. سنكون صادقين دون تنكر... فإذا كان هناك مزيد من الإهانات، أو الشكاوى، أو الاعترافات فلنسمعها كلها الآن.

كانت كلما أمعنت التفكير تجد أن عليها كتم أسرار حياتها عن أنظار وايد تيرانت الساخرة...

لم يكن من مكسب حقيقي تلك الليلة إلا شيء واحد وهو روبير الذي فهم الرسالة أخيراً... فرد على اقتراحها ذاك برسالة مقتضبة يقول إنهما ربما في المستقبل، قد يصبحان صديقين...

تمنت أحياناً لو يبقى ابناها صغيرين بريئين آمنين بين أحضان إيمانهما الطفولي بالحياة. لكنها تعرف أنها لن تتمكن من أن تحميهما

إلى الأبد، وأنهما بحاجة إلى النضوج وإلى شق طريقهما بأنفسهما. قد تقدم لهما الحب والنصيحة وتتركهما يرحلان حين يحين الوقت، وعليها أن تحذر من حب السيطرة عليهما، فمنذ أن بدأت العمل عاشا جزء كبير من حياتهما الصغيرة بعيداً عنها وهذا ما يقلقها إلا أنها حريصة للتغلب على عاطفتها.

قال لها ريشار وهي تضعهما في الفراش ذات ليلة:

ـ بيل التلميذ في صفنا قال إن أباه هرب لأنه يكره أمه.

حضنته بقوة:

ـ اوه حبيبي.. لم يهرب والدك بل أصيب إصابة مؤلمة، أتريده أن يبقى متألماً طوال حياته؟ لقد توفاه الله، لئلا يتألم. نحن لا نستطيع رؤيته أو محادثته لكنه في قلوبنا دائماً.

ـ وهل ستموتين أنت كذلك؟

ـ كل الكائنات الحية ستموت، لكن بعد أن تعطي حياة جديدة. آه، ليتني أعيش طويلاً لأراكما شابين متزوجين وليتني أرى أولادكما.

طمأن قولها هذا على ما يبدو قلب الصغير الذي أسند رأسه إلى الوسادة لينام فسألها فرنسوا:

ـ ألن يكون لنا أب جديد؟

ـ أعتقد أن هذا يعتمد على ما إذا كنت سألتقي بالرجل المناسب.

ـ ألم يكن العم روبير مناسباً؟

ـ ليس تماماً.

ـ لماذا لا تسألين أم بيل.. إنها تعرف الكثير من الرجال.

ـ لكنّ أمه لا تعمل.. وأنا لا وقت لديّ لهذا.

قال فرنسوا لأخيه بطفولية:

ـ الوحش لا يسمح لها.. إنها عبدته.

ـ فرنسوا! ماذا تقول؟ من أين لك هذه الفكرة..

ـ هذا ما قاله عمي روبير.. قال إن السيد تيرانت تاجر عبيد.

ـ إنه لا يعني هذا بالضبط..

ـ ألا يعني هذا أن له أسناناً كبيرة؟

ـ ولمَ الأسنان الكبيرة؟

ـ ليمتص دم الناس. سمعتك تقولين إن الناس يخرجون من مكتبه وقد جف دمهم.

ـ أنا قلت هذا؟ ما عنيته أنهم يخافون منه. لكنه في الواقع صاحب عمل رائع، لقد عرض علي ترقية منذ مدة.

ـ أنا سعيد لأنك لن تتزوجي العم روبير.

ـ لماذا؟

ـ لأنه ناداني باسم أخي.. ريشار.

ـ معظم الناس لا يفرقون بينكما.

ـ لكن الأب الحقيقي يفرّق.

ـ أجل.. لكنه يجب أن يكون مميزاً.. أعدكما أن لا أتزوج ممن لا يستطيع التفريق بينكما.

صمت لحظات، ثم قال قبل أن يدير رأسه لينام:

ـ حسناً، إن لم تجدي أفتش أنا وريشار عن واحد.

نزلت لورنا ضاحكة لتشارك إيفور التأمل في فكرة زوج يختاره لها ابن السادسة.

عندما وصلت في الصباح التالي إلى المكتب وجدت أن وايد ترك لها رسالة تفيد أنه سيشارك في اجتماع مجلس حملة الأسهم في التاسعة.. فسرها عدم رؤيته لكنّ سرورها لم يدُم فقد جاء ستيفن بعد الحادية عشرة بنصف ساعة، قائلا:

ـ يريد منك أن توافيه ظهراً.

نظرت إلى العمل المتراكم حولها وسألت:

ـ لماذا؟

ـ بما أنه أعطاني اسم مطعم، فهذا يشير إلى دعوة غداء.

www.elromancia.com

ـ لكنني أتغدى في الواحدة.
ـ ربما نسي..
ـ هل هو غداء عمل؟
ـ حسناً لن تتمكني من الرفض، خاصة بوجود فرصة للراحة.
ـ ولماذا لا يمكنني الرفض؟
بدت أسنانه:
ـ لورنا.. أنت تتحدثين مع المساعد المنفذ.. الرجل الأعمى، الأصم، والأخرس الذي لا يجد صعوبة في التقاط الذبذبات الحاصلة في هذا المكتب منذ مدة.
ـ ستيفن..
رفع يديه:
ـ لم أقل شيئاً لورنا... وإذا كنت قلقة من الشائعات فانسيها... إنها تدور وتدور منذ أسابيع.. خاصة بعد التوهج المفاجيء في مظهرك... ألم تلاحظي أن ازدحام السير ازداد هنا مؤخراً؟
ردت بحزم:
ـ ليس هناك شيء من هذا القبيل ستيفن.
ـ أنا أعرف، وأنت تعرفين.. لكن هل قال أحد هذا للريس؟
انطلقت نحو المطعم بسرعة، مصممة على تسوية بضع نقاط مع الريّس الذي لا يحق له استخدام هذا التكتيك لأنها رفضت التورط معه أكثر.. لكنها أحست بالإحباط حين تأخر في الوصول فاضطرت إلى التبريد من حرارة غضبها مدة ربع ساعة.
راقبته وهو يقبل بعفوية إلى طاولتها، تشعر بتقلص في معدتها من رؤية ليونة حركات جسده، وهو يحيي عدة أشخاص يمر بهم..
قال لها وهو ينسل إلى الكرسي المقابل لها:
ـ رأيت النمش على وجهك من طرف الغرفة. أظنك غاضبة

مني.
ـ هل هذا غداء عمل؟
ـ لديّ أخبار عن فريق بعثتنا في غواتيمالا.
حل مكان بسمته تجهم جعلها تحس بالاضطراب.
ـ هل هم.. بخير؟
ـ كلهم بخير... لقد وصلوا إلى العاصمة ليلة أمس. منذ قليل تلقيت مكالمة أخبرت فيها عن المصاعب التي واجهتهم في الاستجواب الذي لم يصل إلى حد الضرر.
ـ ألا يمكنك إخباري هذا في المكتب؟
ـ أردت الاحتفال مع أحد، وبما أنك شاركتني المحنة، أردت مشاركتك بهجتي.
ـ ولماذا اخترت هذا المكان؟ لماذا لم نذهب إلى مكان...
ـ حميم وصغير؟ ظننتك ستحسين بالأمان في مكان عام، حيث لا تشكين مطلقاً في دوافعي.
ـ أنت تمزح!
ـ إذن ما الأمر؟ أخائفة من أن تفقدي رأسك أمامي؟
ـ لا أخشى أن أفقده أبداً.
ـ ألست مرتبكة بعض الارتباك؟
ـ لا.
ـ إذن لماذا لا تنظرين إلي؟ أنت تتجنبينني هذه الأيام.. وبما أن نظارتك اختفت فعيناك لم يعد لديهما ما يخبأ فيهما. أحسبك خائفة مما قد أرى فيهما... إنهما عينان جميلتان وكاذبتان كبحر واسع عميق، متقلب.
ـ وايد..
ـ لن أفسد علاقة العمل الرائعة التي بيننا لورنا.. لكنني أريد أن تتطور علاقتنا على سجيتها دون أن تضعي العراقيل أمامها في كل

www.elromancia.com

مرة.

ـ ربما أتآمر عليك، ممثلة دور صعبة المنال.

ـ وما الهدف؟

ابتسمت:

ـ للإيقاع بك.

ـ الإيقاع بي في علاقة؟ أم قيادتي إلى الفخ؟

ـ بل إلى الزواج.

لا شك في أن هذه الكلمة ستخيفه. لكنه ضحك، فلاحظت أنه مرح حقاً وخفته مختلفة. أيكون السبب الأخبار الحسنة التي سمعها عن بعثته أم هذه عادته حين يطارد النساء؟

ـ لورنا.. عندما توقعني امرأة في فخ الزواج يكون ذلك اليوم يوم دفني... فكيف تخططين لهذا؟ أتريدين السعي قدماً لإيقاعي في ذلك الشرك؟

تضرّج وجه لورنا من جرّاء كلماته، وامتلأت العينان الزرقاوان ضحكاً.

ـ أنت كريه فعلاً.

ـ ثقي بي، فلن أطلب منك ترك العمل بسبب علاقتنا.. مهما حدث.

ـ لن تحتاج أبداً إلى هذا الطلب. لكن كيف يمكنك أن تتفوه بمثل هذا بكل برود؟

ـ لأنك لست ممن يثير الفضائح لنفسه، فلديك الكثير من الكرامة والكبرياء.

ـ ما كنت لأقول غير هذا عنك.

فابتسم، دون اكتراث أو غضب.

ـ يا الله.. لك لسان شرير لاذع.. ألا ترين أن كل ما أحاول فعله هو أن أكون صادقاً معك؟

ـ هكذا إذن.. وماذا عن جانيت تروتيل؟ ألن تثير فضائح لنفسها؟ ترى هل ستكون صادقاً معها كذلك؟

ضاقت عيناه بحدة:

ـ جانيت مختلفة.

ـ اوه حقاً؟ وماذا يعني هذا بالضبط؟

إنه يستخدم منطق روبير نفسه في الجدال، إلا أن الموقف معكوس. فهذه المرة هي «المرأة الأخرى» لكن ما أذهلها أكثر هو أنها لا تريد أن تكون زوجة أو خليلة، بل الاثنتين معاً! لكن ليت في العالم رجلاً يرغب في ما ترغب فيه؟

رد عليها بهدوء:

ـ هذا يعني أنني لا أرغب في «معاشرة» جانيت.

شدت لورنا على فكها لئلا تفغر فاها ذهولاً. وصاحت به:

ـ لكن ماذا يحدث حين تتزوجها؟

ـ لن أتزوجها.

ـ إنها جميلة وهي تناسبك.

ـ أقابل عدداً وفيراً من الجميلات ولا أرغب في الزواج منهن. هل أنت من أطلق شائعات الزواج؟

ـ بالطبع لا.. فالجميع يظنك مقبلاً على الزواج منها.

ـ لماذا..؟ ألأنها تناسبني؟ كيف تصدقين أنت من بين كل الناس هذه الشائعة؟ يا إلهي لورنا.. لو أردت الزواج حقاً، هل كنت سأتزوج طفلة؟

تسمرت حيث هي، وعلى ما هي. لقد ظنت أن هذه الشائعة تبعده عنها، معتقدة أنه ملك لأخرى.

ـ يبدو وكأنها تحبك، أما أنت فلم تشاهد مع غيرها منذ أشهر.

ـ أكنت تراقبينني؟

ـ لا.. لكن الشائعات كانت تراقبك.

www.elromancia.com

ـ حسناً.. اخبري الشائعات أن جانيت لا تحبني.. نحن أشبه بأخ وأخته.. علاقتي بها تبعد عنها صائدي الثروات كما أن والديها يريان أنها آمنة معي.

نظرت إليه بشك:

ـ اوه...

ترى هل يفكر أي أب في أن ابنته آمنة مع وايد.. لو كان لديها بنات لأوصدت الباب دونه.

ـ هل أفهم من دهشتك أنك عرفت الآن عدم ارتباطي بأنثى وأنك ستسمحين لنفسك بالنظر إلي على هذا الأساس.

ـ لا يصورنَّ لك عقلك ما تفكر فيه وايد، فأنا لا أريد أن أتورط معك.

نظر إليها نظرة دافئة، جعلتها تحس بالارتباك. وبدلاً من أن تتصرف كامرأة في أوج نضوجها تراجعت إلى الوراء وكأنها مراهقة مرتبكة. كانت تعلم دائماً أن له مقدرة، ولهذا لم يكن تنكرها وسيلة لهدف.. بل أصبح هدفاً بحد ذاته.

ـ لورنا...

ـ سيد تيرانت.. أرجو عذرك، ثمة مكالمة هاتفية لك في المكتب.

ـ لي أنا؟

قطب وايد في وجه الساقي، ثم نظر إلى لورنا:

ـ هل قلت لعاملة الهاتف في الشركة أين نحن؟ لا.. إذن لا بد أنه ستيفن.

حين عاد بدا متجهماً. التقط السترة التي تركها على مؤخرة الكرسي قائلاً:

ـ أخشى أننا مضطران للذهاب.

ـ لا تقل لي إن لدينا مفقوداً آخر.

نسيت أفكارها المرتبكة حين كان وايد يدفع الفاتورة.. خرجا معاً إلى الشمس. كان الطقس حاراً، مما جعل وايد يرمي سترته على كتفه، وكان عليها أن تسرع خطاها لتلحق به. أجابها عن سؤاله بعد أن أمسك يدها بيده القوية، ليقطعا الشارع في الزحام الشديد:

ـ تقريباً.. إنه مايكل.

ـ مايكل! أتعني أنه هرب من المدرسة!

ـ في الواقع، أوقف عن الدراسة هذا الصباح.

ـ أوقف؟ لماذا؟

توقفت في مكانها مصدومة، حتى اضطر وايد إلى شدها من يدها.

ـ ضبطت عصابة من التلامذة تحمل أكياس المخدرات في ملعب المدرسة... الأغبياء الصغار!

ـ هل لمايكل علاقة؟ ربما هو زميلهم، لكن ذلك لا يعني أنه أحدهم.

ـ لن نستطيع أن نسأله ما دام مختفياً! أليس كذلك؟ يا له من فتى! إنه رائع في تجنب المسؤولية.

ردت بحزم:

ـ هذا غير منصف له.

وقفت تتمسك بعمود واجهة المصرف المرمرية بعيداً عن المارة فوق الرصيف.. فانضم إليها وايد. لن تسمح له بملاحقة الصبي وهو في هذا المزاج.

ـ إنه صغير وخائف. إن كان أصدقاؤه يتاجرون بالمخدرات فهذا لا يعني أنه شريكهم. لا أصدق تورطه فله شخصية قوية.. إن أقل ما يمكنك القيام به هو الهدوء حتى تسمع روايته.

ـ أهدأ..! ما شأنك في هذا كله على كل الأحوال؟ وما الذي يجعلك حكماً عادلاً على شخصيته؟

www.elromancia.com

غضبت لسخريته:

ـ لأنني أعرفه جيداً!

كانت شمس الصيف تضرب جانب واجهة المصرف فتنعكس حرارتها على رأسيهما: رأس أسود قصير الشعر، والآخر يشتعل بلهيب النار. قال ببطء:

ـ ما مدى هذه المعرفة الوطيدة؟

أسندت لورنا نفسها إلى العمود وهي ترى عينيه تضيقان بارتياب. يا إلهي سيصل أخيراً إلى الاستنتاج الصحيح، لذا وجدت أن من الأجدى الاعتراف أولاً... فرفعت رأسها وقالت تدافع عن نفسها:

ـ أنا لم أغوه، إذا كان هذا ما تعنيه... نحن صديقان.. وهذا كل شيء.. صديقان ليس إلا.

* * *

٧ ـ عذاب بلا نهاية

مضت لحظات قبل الانفجار، كانت خلالها عيناه تبرقان كنار زرقاء، حتى جاء الرعد البطيء العنيف.

ـ اوه.. يا إلهي!

التفتت الرؤوس وتوقفت الخطى، وحدق الناس إلى الرجل الغاضب الصارخ في وجه الرأس الأصهب. وقال يفح كالأفعى:

ـ أنت! أولغا تكاد تدفعني إلى الجنون بسبب تلك الصهباء اللعينة التي تغوي مايكل فإذا بها أنت. كنت طوال الوقت تجلسين هادئة.. بينما أنا..

أطبق فمه يبتلع غضبه حين لاحظ الاهتمام الذي يثيره حولهما. مد يده ليدير لورنا إلى الجانب الآخر من العمود.

ـ وايد.. دعني.. لو بقيت تتصرف هذا التصرف لاتصل أحدهم بالشرطة!

ـ تكلمي إذن. إلا إذا كنت تريدين أن تنتهي وعلامة طبشور حولك على الرصيف.

ـ لماذا لا نتنظر حتى..

صاحت بصوت خفيض خوفاً منه وذلك حين ضرب العمود الرخامي بقبضته. احتضنت العمود تحس بقساوته تؤلم جسدها.

ـ لا تماطلي لورنا.. تكلمي.. الآن.. وليكن عذرك مقبولاً! منذ متى؟ ألهذا كان مايكل يتوق إلى أن أصطحبه إلى المطعم ليلة عيد

www.romancia.com

ميلادك؟

همست بحدة:

ـ بالطبع لا! لم يكن يعرفني يومذاك.

ـ لا تكذبي لورنا.. لقد اكتفيت من كذبك.

حاولت دون نجاح التخلص من ضغط جسده العدواني عليها وهي تقول:

ـ لا أكذب... كانت المرة الأولى التي نلتقي فيها.. تبادلنا التعارف بالأسماء الأولى ثم... حين اصطحبته إلى المكتب رآني فتعرف إلي.

ـ لكنني لم أتعرف إليك.

ـ لأنك لم تكن تنظر إليّ في الواقع.

ـ حسناً.. أنا أنظر إليك الآن... يا إلهي! ماذا فيك يا لورنا حتى يجعل الرجال يتخبطون كالحمقى العميان؟ إذا كنت تربكين الصبي بكل هذه الإشارات المتضاربة فكيف لا يضيع!

ـ لا أفهم عما تتكلم. كل ما كان يحتاجه مايكل بعض الصحبة، أراد شخصاً يستمع إليه، يساعده حتى يشعر بأهمية نفسه.. هذا كل شيء.

قال بصوت أشبه بحد السوط:

ـ هل تمتعت بتعليمه؟ هل تمتعت بالعبث معه؟ هل تمتعت بتشجيعه على تحدي والديه ونسيان دراسته؟

عضت لورنا على شفتها حتى تمنع الكلمات الغاضبة من الانبثاق. إنه قلق على ابن أخته.

ـ لم يحدث قط ما تفكر فيه، فليس بيننا تلك العلاقة المشبوهة. لا أنكر أنه زارني في بيتي بضع مرات وكذب حتى يزورني. لكنني لم أشجعه قط.. أنت تعرف الصبيان.. فهم يبالغون عادة.

ـ لا علاقة لكما بما أفكر فيه؟ يا إلهي.. كيف تكونين بهذه

السذاجة! إن لكل شيء في سن السابعة عشرة علاقة بالإثارة. لقد عانقته منذ أن رأيته أول مرة وهذا تشجيع يكفي بالنسبة له.

ـ ما ظننت أنني سأقابله ثانية. بل ما كنت أعرف أنه ابن أختك حتى ظهرت.. أما العناق فلم يعنِ لي شيئاً.

ـ قد لا يعني لك شيئاً.. أيتها الملاك.. لكن إذا كان ما جعلتني أحس به مقياساً، فلا بد أن الولد شعر بأن الأرض تدور من أجله.

اختلطت الوحشية في صوته بغضب شخصي. فضغطت نفسها إلى العمود تشد راحتيها على رخامه البارد.. أحست كأنها ساحرة شريرة مربوطة إلى العمود قبل أن تحرق، بانتظار ألسنة النار الأولى وحرارتها التي ستلذعها.

وتمتم كأنه يقرأ أفكارها:

ـ ساحرة شريرة. أهذه هي الحقيقة؟ أليس بينكما علاقة؟

ـ لا.. أبداً. أشعر بالأسى عليه لكنني لم أكن أنا من دعوته إلى منزله بل هو من فعل. فقد وجد عنواني وهددني إذا لم أقبل برؤيته...

ـ أن يكشف تنكرك أمامي... أجل.. هذه هي الطريقة التي يفكر فيها هذا الصبي. وأراهن أنه كان يتمتع بمشاهدتك تخفين سرّاً عني، لكنني مؤمن بأن هذا عنده يعني الإغواء.

يبدو أن الفكرة أعجبته كما أعجبته طريقة لمعان عينيها توتراً... أخبرته خبرته، وثقته بنفسه، بأن ما شد مايكل إليها لم يكن الإثارة.. بل لذته في مراقبتها تخفي عن خاله «الرهيب» سراً.

قالت له بصوت طبيعي بشكل مدهش:

ـ حاولت أن أردعه عن زيارتي. لكنه أصرّ ثم راح يقص عليّ قصصاً رهيبة عما يفعله أصدقاؤه.

ـ لم تكن قصصاً فحسب كما ثبت.. لكن ما كان يجب أن يدهشك إصراره.. فهذه عادة تجري في العائلة.

www.elromancia.com

ارتفعت يده، بعد أن استرخت قبضته، لتمر بجانب وجهها بنعومة، كانت لمسة خفيفة وكأنها وعد، أحست معه بالضعف.

ـ وايد...

ـ لورنا.. (قال وهو يقلّد تنهدها)

بدا النمش الذي يشير إلى مزاجها يلمع.. فتساءل بفضول عما إذا كان يمتد إلى سائر أنحاء جسدها... تصورها تهمس «وايد» رجاء لا احتجاجاً. يا إلهي، لقد أصبح خيالياً كابن أخته اللعين...!

ارتدَّ عنها فجأة وبدأ بالسير:

ـ تعالي.. فلنبحث عن الصبي.

لحقت به تجر قدميها جراً. ماذا عليها أن تفعل الآن، أتتحداه أم تدافع عن نفسها فقط؟ كانت تعلم أنها لو كانت لورنا هاركوت، بدلاً من لورنا تورڤيل، لوقعت في حبه منذ زمن بعيد. لكن لورنا هاركوت، القديمة اللاهية، الخالية من الهموم اختفت. فعليها من أجل صغيريها أن تكون قوية.. لكن حين تكون بصحبة وايد تيرانت تشعر بالعكس فهي لا تريد أن تكون قوية معه بل طرية العود مستأنسة تاركة مسؤولياتها لشخص آخر، لا لشيء إلا لأنها تريد أن تكون حرة...

صدمتها الحقيقة، فهذا هو ما يدفعها إلى مقاومة جاذبيته الشرسة، فهو يجعلها تكره ولديها، متسائلة عن طعم الحياة، الحياة دون مسؤوليات.

بينما كانا يجتازان ردهة مبنى الشركة سألها:

ـ أكان مايكل يحاول حماية شخصيتك حين رمى بتلك القصة عن الأرملة الفرنسية أم كانت شخصية أخرى؟

شحب وجهها بشكل ملحوظ، ولم ترد:

ـ لورنا؟

توقف المصعد في طابق ما، لكن وايد ضرب يده على زر إقفال

الباب... حاولت بجبن إبعاد المحتم:

ـ وايد.. هناك من يريد الصعود.

ـ هل أنت فرنسية الأصل؟

حضرت لورنا نفسها.. فمن الأفضل لها أن تواجهه بكرامة.

ـ زوجي فرنسي.

ـ ألهذا تجيدين الفرنسية بطلاقة؟

حارت من قدرته في السيطرة على نفسه، كانت تتوقع انفجار آخر لكنها عوضاً عنه سمعته يقول حانقاً:

ـ لكن اسم هاركوت ليس فرنسياً.

ـ إنه اسم عائلتي أما عائلة زوجي فتورڤيل.

ـ لورنا تورڤيل.

ـ قتل زوجي في حادث سيارة.

لماذا لا يصيح بها، لماذا لا ينفجر، لماذا لا يفعل أي شيء عدا هذا الصمت الرهيب؟

سألها بهدوء:

ـ متى؟

ـ منذ.. منذ ست سنوات.

ـ ست سنوات؟ ولم تتزوجي ثانية؟ لا شك في أنه كان رجلاً رائعاً.

لم يكن غاضباً! ولن تستطيع تصديق ما ترى.

ـ كان رائعاً.. لكنني لم أمتنع عن الزواج بسبب.. أعني.. أعني..

ـ أظن أنني أعرف السبب.. لقد رفضت روبير لأنه مضجر لا لأنه فشل في أن ينسيك ذكرى زوجك.

ـ لكنني لم أرفضه كل الرفض كما تذكر.

بدت التسلية في عينيه:

www.elromancia.com

ـ دعك من هذه الألاعيب لورنا تورڤيل. إنه رجل معقد، لذلك أطلقت عليه تلك التمثيلية حتى تتلقي ردة فعله تلك. لو عرضت عليّ امرأة عرضك بتلك اللهجة، لوضعتها على بطنها فوق ركبتي، وأشبعتها صفعاً على قفاها.

ـ لن تكون لك هذه الفرصة!

أهي شفّافة إلى هذه الدرجة أمامه؟ لقد ذعرت من الاحمرار الذي اجتاحها من جرّاء الأفكار غير المحتشمة التي أثارها تعليقه.

ـ بالطبع لا.. فحين تعرضين نفسك عليّ، لن أكون مثال الأدب... ماذا سأفعل بك لورنا؟ هل سأتقوقع خشية أن أفكر في ما لم أره منك أو لم أعرفه عنك.

ـ في الواقع وايد أريد منك أن تعرف أن..

ـ لا.. لا.. لا أريد أن أعرف شيئاً الآن.. فلدي إحساس ينذرني بأن ما سأسمعه لن يسرني، فلندخر الاستكشافات العجيبة الأخرى إلى وقت آخر.

ثم تابعا المسير صامتين، ودماغها يدور في حلقات.. أمنعها عن الكلام أمر حسن أم سيء؟ كان يكره معرفة الحقيقة كرهها لها، فكيف تقول له إن لها توأمين.

حين عادت إلى المنزل، توقعت أن تجد مايكل هناك. لكن إيڤور أكد أنه لم يره. حضرت العشاء، ثم اصطحبت التوأمين إلى الفراش لتروي لهما قصة خرافية.. كانت الساعة التاسعة حين نزلت لتشارك إيڤور باحتساء فنجان قهوة قبل الخلود إلى النوم. كانت في الحمام حين صاح إيڤور:

ـ مكالمة لك «شيري».

قطعت الدرج بقدمين حافيين تلف عليها منشفة، وقالت:

ـ مايكل؟

ـ من كان هذا بالله عليك؟

شل الصراخ أطرافها:

ـ وايد!

ـ قلت إن زوجك مات.. أهذا روبير؟

ـ إنه إيڤور، هل وجدتم مايكل؟

ـ هل لي أن أسأل من هو إيڤور هذا؟

ـ إنه يعيش معي، سحبت نفساً ثم أضافت: لم يزرني مايكل.. هل جربت الاتصال بمنزل ذويه ثانية؟ ماذا عن الشرطة؟

ـ إنه معي لورنا.. فقد وصل منذ ساعة. كان يسير في الشوارع. لقد تحادثنا وسوينا بعض الأمور فليس له يد في ما حصل.

ردت بانتصار:

ـ كنت أعرف هذا!

ـ أخبريني إذن المزيد عن إيڤور.. هذا. أيعرفه مايكل؟

ـ بالطبع يعرفه.. إنه عمي.. والد زوجي المتوفى.

ـ وهل هذا قانوني؟

عدّت للعشرة قبل أن ترد:

ـ قلت إنه يعيش معي ولم أقل إنه ينام معي، أنا لا أفكر في إقامة علاقة مع أحد.

ـ ما أسعدني بكلامك هذا.

ـ حسناً هذا خير لك!

وأقفلت السماعة بعنف ثم أسرعت إلى غرفتها في الدور الأعلى لكنها قبل أن تجتاز منتصف الطريق سمعت الرنين يعود من جديد.

في تلك الأثناء ظهر إيڤور من المطبخ:

ـ أظن أن من الأفضل أن تردي أنت شيري.. انزعج حين سمع صوتي.

ـ لقد ظن..

ـ أعرف.. كنت تصرخين.

وانتزعت السماعة:

- لورنا؟ أنا آسف.. قلت لك إنني لن أستطيع استيعاب الكثير من المفاجآت في يوم واحد. سامحيني على الإزعاج.

- وايد..

- آه.. كم أحب هذه اللهجة المدللة التي تستخدمينها في نطق اسمي فهي تعني أنني تسللت إليك. اوه لا.. لا تقفلي الخط.. مايكل يود رؤيتك. لذا أقترح عليك أن تزورينا بدل أن نزورك.

- الليلة؟

- غداً.. للعشاء، هل أخرجتك من الفراش؟

- لا.. كنت لتوي في الـ...

صمتت وهي تسمع آهة مكبوتة:

- في الحمام؟ تحت الماء؟ ماذا ترتدين؟

لم تستطع منع نفسها من الرد، فتمتمت بصوت أجش:

- منشفة مبللة.

- اوه.. ربما تودين المجيء الليلة على ماأنت عليه، فلا داعي إلى تبديل ثيابك.

قطرات الماء التي تتساقط من شعرها إلى كتفيها فذراعيها، باردة وكأن أصابع تسللت إليها فاجتاحتها قشعريرة.

قالت دون وعي:

- أحسّ بالتوتر لمجرد التفكير...

فضحك بصوت خفيض دغدغ أذنها:

- التوتر لا شيء إذا ما قارنته بما أشعر به.. حتى الغد في السابعة؟

- لا أظن...

قاطعها:

- سيكون معنا مايكل الذي سيسرّ بإخبارك عن آخر مغامراته..

أعتقد أن ما قد يقوّي العلاقة بينه وبيني.. أن يعرف أنني لن أفتعل له مشاكل بشأن الالتقاء بك.

هناك فرق شاسع بين أن يغازلها صوت لا تجسيد له وبين قضاء أمسية مع رجل هي منجذبة إليه. أمسكت المنشفة وشدتها إليها أكثر. ثم عضت على شفتها لما أبداه من منطق:

- اوه.. حسناً.. لا بأس.

- إذن سأصطحبك في السابعة.

- لا.. بل أفضل استئجار سيارة.

ساد صمت قصير ثم قال بحدة:

- ألا تريدين أن يعرف إيثور بأمر قبولك دعوتي؟ ألن يوافق؟

- سيوافق طبعاً، إذ يسره أن أفعل ما أشاء.

كانت تفكر في التوأمين اللذين يصران دائماً على التعرف إلى الزائرين رغم قلتهم.

- جيد.. سنراك غداً إذن. اعتني بنفسك لورنا.. وفكري فيّ.

وكان أن فكرت فيه الليل كله والصباح أيضاً حتى بدت أساريرها صباحاً وكأن قطيعاً من الأبقار الوحشية قد مر به. كانت قد تقلبت، وتحركت خلال الليل غير قادرة على منع نفسها من التفكير فيه لكنها في النهاية استسلمت وتركت لنفسها العنان. لقد هاجرت إلى الخيال من قبل، لكن الرجل وقتذاك كان دون وجه.. أما الآن فذو وجه محدد: عينان زرقاوان ينقلبان إلى سوداوين حساستين، ويدان خبيرتان لطيفتان.. وجسد يدفعها التفكير فيه إلى ذروة الخيال.

يسكن وايد تيرانت في حي سكني فخم. فيه ڤيلات أنيقة، تحيط بها حدائق غناء وقربها بحيرة واسعة رائعة. بعد أن نقدت السائق أجرته، استطاعت لورنا مشاهدة مبان تتلألأ بالأنوار، وراء مشتل النباتات الزجاجي وأشجار الحديقة العامة...ومن بعيد أنوار الميناء. بينما كانت ترتقي مشياً الممر المفضي إلى الڤيلا، راحت

www.elromancia.com

تمعن النظر بالمنزل. فإذا طرازه كطراز مسكنها، لكنه أكبر حجماً أضعافاً مضاعفة حافظت عليه أجيالاً من المالكين الأثرياء.

أدخلتها امرأة مبتسمة، في أواسط العمر، إلى ردهة جميلة الأثاث، ومنها إلى غرفة طعام، فغرفة استقبال واسعة.

ـ لورنا..!

قبل أن تتمكن من التقدم لتحية الرجلين المرتديين بذلتين سوداوين كان مايكل قد أقبل إليها مسرعاً ليطبع على وجنتيها قبلة حارة. رمى نظرة تحدٍّ إلى خاله، فابتسمت له في محاولة منها إلى عدم التطلع إلى الرجل الآخر.

ـ مرحباً مايكل.

وتقدم الرجل الآخر منها، لكنه بدل أن يحييها بشكل عادي، فتح ذراعيه واحتضنها بينهما.. فشاهدت من فوق كتفه دهشة مايكل واستنكاره.. وغضبت من نفسها لتضرّج وجنتيها.

سارع مايكل يقول، حين ابتعد خاله ليأتي بالشراب.

ـ يقول خالي إن عليّ الاعتذار منك على الإزعاج الذي سببته لك.. فهل قلت له إنني أزعجتك؟

ـ لا.. لم أقل، لكنك بعثت القلق إلى نفوسنا إلا أن خالك لم يتصل بوالدتك ليخبرها.

ـ هذا لطف منه. كما أنه لم يصرخ في وجهي أو هزىء بي كعادته بل تكلم مع مدير المدرسة الذي قرّر أن يلغي قرار توقيفي عن الدروس. لقد قال خالي...

انضم وايد إليهما ليقول وهو يضع إبريق الشراب والكؤوس على الطاولة:

ـ لقد بت كبيراً على مناداتي بخالي مايكل.

لاحظت لورنا من تهلل وجه الشاب أن الاقتراح أرضى غروره.. ويبدو أن وايد يستعيد بسرعة مركز «بطل» الطفولة في نظر ابن أخته.

ـ أبلغ وايد المدير أنه يفضّل أن أبقى معه هنا في الفصل القادم عوضاً عن البقاء في المدرسة الداخلية.

نظرت إلى وايد، الذي أخفض بصره قائلاً:

ـ أخجلني اهتمامك بمايكل لورنا. ليت كان لي إنسانة مثلك حين كنت في مثل عمره.

تمتمت وهي تتناول كأسها منه:

ـ لا أتصورك في السابعة عشر.

إذن هذه هي تركيبته الساحرة؟ يريد معاملة مايكل على أنه شخص ناجح ويتوقع منه أن يتصرف على هذا الأساس... ربما كبرياء النضوج تتكفل بالباقي... رد عليها ساخراً:

ـ أشك في أنك كنت ستستقبليني في حياتك بذراعين مفتوحتين، فقد كنت مثال التوحش البدائي، شرس الطباع، فظاً، عدوانياً، غير أليف، لا يحترم أية سلطة ويكتسحني طموح جامح للانتقام من كل الدنيا.

حاولت جاهدة أن تتصور هذا الرجل المصقول المحنك عدوانياً في طفولته. وسألت:

ـ أكنت في عصابة ما؟

ضحك:

ـ يا طفلتي.. أنا كنت العصابة... ثورة يد واحدة ضد كل النظام.

ـ وما الذي حدث حتى غيرت المعسكر؟

ـ اوه.. لم أغير معسكري لورنا.. بل، عرف عقلي الغليظ أخيراً، أن الطريقة الوحيدة لهزيمة هذه السلطة، محاربتها من الداخل، فاكتشفت في هذه الطريق أنني قادر على استغلال السلطة بطرق ما كنت لأحلم بها. وقد أذهلني أن أفكر في أن الرجال الذين يهرعون الآن لاستثمار أموالهم في شركتي، كانوا يطلقون كلابهم عليّ

منذ عشر سنوات، وأن النساء اللواتي يبتسمن لي بسخاء كن يقطعن الشارع إلى الجهة الأخرى لتجنبي.

قاطعهما مايكل وقد سئم من نقاش لا يشمله:

ـ يقول وايد إن بإمكاني البقاء هنا ما دمت أنال علامات جيدة، وما دمت أواظب على دروسي دون غياب.

رد وايد عليه، ردّ رجل لرجل:

ـ لن يكون هذا أمراً صعباً شرط أن تحسن اختيار أصدقائك. فأن تُدان بسبب من تعاشر لأمر غير عادل، لكنه واقع من وقائع الحياة. هل لنا أن نذهب الآن إلى العشاء؟

كانت غرفة الطعام المفصولة عن غرفة الاستقبال بجدار المدفأة صغيرة ومثيرة، طاولتها بيضاوية مليئة بآنية فضية وكريستالية. أما الطعام فكان مذاقه رائعاً وهو حساء بارد ولحم عجل صغير مسلوق إضافة إلى حلوى معدة من قشدة الشوكولا السميكة، وقد قدمها وايد كلها بنفسه.

قال مايكل وهو يتناول طبقاً آخر من قشدة الشوكولا:

ـ همم.. إنه أفضل بكثير من طعام المدرسة.

رفع بصره إلى عمه ومنه إلى لورنا ثم أضاف:

ـ إنه بجودة طعام إيفور.

سارعت لورنا للرد:

ـ إيفور يجيد الطبخ فقد عمل في بداية حياته بالطبخ.

ترى كم من الأمور تحدث فيها عن حياتها ليلة أمس مع خاله؟

رقصت عينا وايد كعيني شيطان أزرق وقال كأنه قرأ أفكارها:

ـ لا تقلقي.. لم يخبرني شيئاً من أسرارك، وأنا لم أسأله.

ردت بسخرية:

ـ يا لتنازلك هذا..

ـ أفضل أن أكتشف أسرارك بنفسي. فرقصة الحجابات السبعة لن

تكون مثيرة، إذا انكشفت دفعة واحدة.. أليس كذلك؟

تسمّرت يدها، وهي ترفع الملعقة إلى فمها، تسمّرت عيناها عليه، متشابكة نظراتهما معاً.. ولم تخرج من سيطرة سحره إلا بعد انتهاء الطعام.

تشجعت لورنا لتتطرق إلى أحاديث شاملة مع الرجلين، لكنها لاحظت أن مايكل يزداد صمتاً، ففهمت ما يفعله وايد باختياره موضوع الحديث، عن المسرح والشؤون المالية والسياسية، كان يؤكد بذلك على الهوة الشاسعة بين لورنا ومايكل ويظهر العلاقة المتساوية التي بينه وبين لورنا. وقد بان من خلال تعليقات مايكل المحدودة أن وايد قد وصل إلى هدفه بألم ووضوح.

رغم تعاطفها مع دوافع وايد، أحست بالخيبة، لكن ليس من حقها أن تتزعج.. فلولا وجود مايكل لما جاءت أبداً، وليس هذا لأنها تكره دعوة وايد إلى منزله بل لأنها حذرة في علاقتها به.

أدركت فجأة أن الوقت قد تأخر كثيراً، فقالت مذعورة:

ـ لقد تأخرت.. يجب أن أذهب.

ـ أمعك وشاح؟ سأحضره لك.

حين انفرد مايكل بها قال متهماً:

ـ لم تخبريني شيئاً عن صداقتك مع خالي.

ـ ثمة أشياء كثيرة لا تعرفها عني مايكل، فليس من الضرورة أن يعرف الأصدقاء أخبار بعضهم بعضاً.

ـ لكنكما أكثر من صديقين، فما أنا بغبي، لقد لاحظت طريقة تبادلكما النظرات.

وقفت غاضبة.. يا الله.. أهي شفافة إلى هذه الدرجة؟ قالت بهدوء:

ـ كيف تجرؤ على مثل هذا القول؟ لا أظنك تستحق الرد، صديقاً كنت أم لا!

www.elromancia.com

احمرّت بشرته، وظهرت في عينيه نظرة طفل متألم:

ـ ماذا لو قلت إنني أحبك؟

ـ ليتك تتخلى عن هذا الوهم، لكن حتى الحب لا يعطي صاحبه حق السيطرة على الآخر الذي لا يدين لك بأي شيء. مشاعرك هي مسؤوليتك أنت لا مسؤولية أحد سواك.

شحب وجهه، وظهر الحزن على فمه فعلمت أن كلامه عن الحب وسيلة لمعاقبتها لأنها فضلت خاله عليه. تمتم شيئاً لم تفهمه، وغادر الغرفة بفظاظة. ما إن عاد وايد حتى تمتم وهو يلف وشاحها على كتفيها:

ـ لعلك خذلته بلطف.

ـ إنك أسوأ منه... تفترض كل أنواع الافتراضات..

ضحك:

ـ اووه.. هل اتهمك بإقامة علاقة معي؟

ـ أنت تعرف ما يفكر فيه. فهذا ما أفهمته إياه.

ـ قليل من الغيرة لن يضره بل قد يفيد حين يدرك أن الدنيا لا تدور من أجله فقط.

ـ لماذا يغار؟ فلا سبب يدعوه إلى الغيرة.

ـ لا أتكلم عن غيرة الحب بل أعني أنه يغار من الاهتمام الذي توليني إياه... إنه صغير يرغب في أن يكون محط اهتمامنا، ورجل يشعر بتحدي رجل آخر.

ـ ألهذا السبب دعوتني الليلة إلى هنا؟

ـ جزئياً نعم، أما السبب الحقيقي فأن أفعل هذا..

وانسلت يداه إليها، تضمان جسدها الذي ذابت عظامه للمسة منه. أحست بتفجر الدفء في داخلها وبتوق متزايد جعلها تضم نفسها إليه. فعض على شفته وقال:

ـ يا الله.. ما أشد ما تقت إلى عناقك هذه السهرة.. لا تذهبي!

ابقي هنا معي!

تأوهت لورنا، تدفع صدره الصلب عنها:

ـ لا..!

حاولت دفع نفسها عنه لكن قماش ثوبها الحريري تعلق بملابسه، وكأنه مغناطيس. تعلقت حواسها به. أحست برغبة جامحة في ترك نفسها تغرق في عناقه، وفي ترك الرغبة المكبوتة لتزهر دون رقيب، لكن مايكل هنا والتوأم في المنزل... وأعماقها تخشى من هشاشتها العاطفية أمام هذا الرجل. لقد آمنت دائماً أن من الخير أن تتلقى الحب وتضيع فيه، عوضاً عن عدم تلقيه أبداً لكنها لن تتحمل الوقوع في الحب ثانية، ثم تخسر من تحب.. ولم تشك في أنها في النهاية، سواء أكانا حبيبين أم لا، ستفقد وايد تيرانت.. إنه طموح، منعزل، فيه رجولة لا تحتمل.

أجبرت يدها على إبعاده:

ـ لا.. أرجوك.

ظنت أنه سيتجاهل رجاءها.. لكن رأسه ارتدَّ فقرأ الرفض الذي لا يمكن إنكاره في عينيها النجلاوين. عندئذ ارتجف وتصلب، فأبعد ذراعيه عنها ببطء ثم ابتعد عنها.. لكنها ارتجفت عندما ارتدت عنها حرارة جسده، كما ارتجف فمها.

ـ لا بأس لورنا.. هذه المرة فقط.

كان صوته أجش خفيضاً، يقف أمامها وكله رجولة لا يحاول إخفاء توتره وقد استلزمه كل ما لديه من قوة للسيطرة على نفسه والوقوف على ذاك النحو حتى لا يشدها مجدداً، ويجبرها على ما يريد وهو قادر على هذا، فمها ويداها وجسدها على استعداد للاعتراف بقدرته، لكن عينيها كانتا تظهران خوفاً لا يمكن إخفاؤه.. لم يكن خوفاً من علاقة، فهي متأكدة من هذا بل من شيء آخر. إنها مقاومة نفسية كان يعرف أن عليه التغلب عليها قبل أن تأتي إليه

بإرادتها. فهو يريد أكثر من علاقة عابرة لذا يجب أن يجبر نفسه على الانتظار حتى تصبح مستعدة لما يريد.. يجب أن يجبر نفسه على الانتظار.

لكن.. يا إلهي كم سيدوم هذا العذاب.

* * *

٨ ـ فجيعة امرأة

بعد أسبوع راحت لورنا تتساءل عما إذا كانت قد حلمت بما كان بينهما من التهاب عواطف. فمنذ ذلك الوقت ووايد مثال الأدب فلم يحاول رؤيتها خارج ساعات العمل أبداً.

أغاظتها برودته. ممَ هو خائف؟ أيظنها ستتوهم أموراً بسبب تقاربهما؟ أيعتقد أنها ستبادره بنوبة غضب كما فعلت السكرتيرات الأخريات أم ببكاء لا يرحب به؟ إنه ليس بذلك الذي لا يقاوم. لكن لماذا لم يجرؤ حتى على قول شيء أمامها حتى تظهر له أنها لا تهتم به!

ـ ما مزاجه اليوم لورنا؟

انتزعها السؤال من أفكارها الكئيبة فإذا بستيفن يقف أمامها. عندئذ سارعت إلى إكمال فتح بريد الصباح:

ـ جيد.. حتى الآن.

رفع يده:

ـ لا تقلقي لن أغيّر الحال... فما أريد إلا يوماً أو يومين عطلة.

ـ أتنوي الهرب؟

فضحك:

ـ سأذهب إلى الصيد.. هل هو مشغول؟

ـ بل حرّ كالطير.

سألها بخبث:

www.elromancia.com

ـ لماذا لورنا.. لقد حسبت أنك ربطت له جناحيه، ولطفت له مزاجه.

رن جرس الهاتف، فعبست في وجه ستيفن من جرّاء تعليقه. رفعت السماعة:

ـ مامي.؟

ـ ريشار؟

ـ لا.. بل فرنسوا وأنا في المدرسة.

ـ هل أنت مريض؟ أتريد أن أقلك من المدرسة؟

ـ لا.. لا بأس.. لقد اتصلت المديرة بجدي.

ـ المديرة!

وتنهدت.. إنها بعض المتاعب

ـ فكرت في الاتصال بك وأنا أنتظر.

ـ أتعني أنك تريد الحديث معي قبل وصول جدك.

ـ لقد أذيت يدي.

ـ اوه.. حبيبي كيف؟ كيف حدث هذا؟

بدا في صوت فرنسوا لمحة انتصار طفولية:

ـ آذيتها فوق أنف ريك... كنا نلعب الكاراتيه، وإذا بالدم ينتشر في كل مكان.

أحست بالرعب:

ـ دمك؟

ـ لا.. مامي.. بل دم ريك، لقد سال الدم أحمر من أنفه كما نرى على التلفزيون.

صاحت لورنا فزعة تضع رأسها على يدها:

ـ اوه.. فرنسوا!

كانت مذعورة فلم تنتبه إلى أن الباب انفتح كما لم تنتبه إلى وقوف الرجلين اللذين كانا يتحدثان حتى صاحت.

ـ لا بأس في هذا مامي.. حقاً.. إلا أن المديرة قالت إننا متعبان لذا يجب أن نذهب إلى المنزل نحن وكاثلين... اوه.. يا لحماقة الفتيات! لقد راحت تصرخ وتصرخ، مع أنني لم أمسها وما ذلك إلا لأنها رأت بعض الدم على حذائها المهترىء.

تأوهت عاجزة أمام منطقه:

ـ اووه.. فرنسوا.

ـ يجب أن أذهب الآن مامي.. السكرتيرة تريد الهاتف. أحبك.. مامي.

ـ وأنا أحبك أيضاً حبيبي.

قررت على الفور وهي تعيد السماعة إلى مكانها أن تلحق الصبيين بمدرسة لتعليم الكاراتيه، حتى يتعلما الانضباط والدفاع عن النفس لا التلويح باليدين والقدمين فحسب كما يحدث في «التلفزيون».

أبعدت يدها عن وجهها، فإذا بعيون أربع تحدق إليها بفضول.. في اثنتين منهما فرح وفي الأخريين برودة قاتلة وسرعان ما احمرّ وجهه فالتقطت قلمها متظاهرة بالكتابة ثم لم تلبث أن سمعت وايد يكمل حديثه مع ستيفن الذي خرج يصفّر مرحاً تاركاً جواً مائعاً وراءه.

أحنت لورنا رأسها أكثر فوق الأوراق أمامها فراحت مؤخرة عنقها تتقلص بجنون بعد أن أحست بأن وايد يحدق فيها.

اللعنة عليه! لماذا ينظر إليها هكذا بعد أسبوع من التجاهل؟ إنها حرة في أن تقول لابنها إنها تحبه؟ وجاءها الأمر البارد الصارم:

ـ اكتبي مذكرة سيدة تورفيل إلى كل الموظفين تفيد أن الإدارة ترفض تلقي المخابرات الخاصة خلال دوام العمل.

ارتفع رأسها بحدة، تنظر إليه فتحرك فمه برضى:

ـ والآن لورنا.. هل لي أن أعرف من هو؟

تقدم ببطء وتعمد أن يقف أمامها حيث أخرج يديه من جيبيه ووضعهما على أطراف الطاولة، ثم انحنى نحوها.. ردت عليه متحدية:

- شخص أحبه.

- عرفت هذا.. فأينما أدير وجهي أصطدم برجل جديد في حياتك... فهل فرنسوا هذا أخوك أو أبوك، أو ابن عم ثان؟

ضاعفت سخريته القاسية من قسوة أسبوع الغيظ المكبوت.. كانت عيناه حجرين أزرقين فوق أنفه البارز، وكان محجراهما أحمرين كالجمر يرسلان شرراً أشعل رداً ملتهباً من لورنا.. فجأة تلاشت الموظفة العملية القديرة.. فأمامها رجل عاد إليه حقده.

- ليس لديّ أقارب من غير الزواج.

- من هو إذن؟ حب قديم؟

- وما الذي يمنع أن يكون حباً جديداً.

- أنا.

كانت ابتسامته مفعمة بالشر. مال نحوها أكثر فأكثر حتى لامست ربطة عنقه يديها الممدودتين على الطاولة. فتراجعت وهي تسمعه يردف:

- إذا كان يريدك لورنا فعليه أن يواجهني أولاً.

جعلت عجرفته عينيها تلمعان، فرفعت ذقنها:

- ربما تستطيع السيطرة على حياتي العملية داخل المكتب، سيد تيرانت! لكنك لن تستطيع السيطرة على حياتي الشخصية فسأفعل ما أشاء مع من أشاء.

لكن انفجارها هذا لم يغضبه بل أشعره بالراحة إذ رد بنعومة:

- لقد بلغت قلبك لورنا.. أليس كذلك؟ هل اشتقت لي؟ هل أردتني؟

شهقت بغضب.. إذن كان تصرفه مؤامرة.. لقد تظاهر بعدم

الاهتمام بها حتى يروضها... حسناً.. لن يعرف أنه نجح.

- لا.. أبداً.. فقد كان فرنسوا معي ليسليني... هذا عدا ريشار.

ضاقت عيناه عندما سمع الاسم الجديد، لكنه أردف بنعومة:

- ما دمت تحتاجين إلى رجلين ليحلا مكاني فهذا يعني أنهما لا ينفعان. دعيهما.

وقفت تشتعل غضباً:

- لا!

ماتت نظرة المرح في عينيه:

- أعني ما أقول لورنا... لا أريد أحداً بيننا.

- بيننا! ليس هناك شيء اسمه «بيننا»..

وأحست بالألم... إذ سيكون ابناها دائماً بينها وبين أي رجل...

- ظننتك فهمت هذا في الأسبوع المنصرم (قالت له).

لكن محاولتها لقلب الطاولة أمامه فشلت.. فقد التقط اللهجة المتغيرة التي فضحت حزنها.

- كاذبة. أنت بحاجة إلى التنفيس. لكنك لا تعرفين ما تريدين.

- لا أريد شيئاً.. فأنا أرفض أن أكون رقماً آخر في مجموعتك، لقد كنت عماد مقالات المجتمع هذا الأسبوع.. حذار أن تقول إنك تلاطفها كرمى لوالد ثري!

- تغارين لورنا؟ كان عليّ أن أملأ بطريقة ما ساعات فراغي التي كنت فضلت فيها لو كنت أنت بين ذراعي. لكنني فكرت في تأخير موعد سعادتنا حتى تتحرري من كافة شكوكك، إنّما حذار فلست رجلاً صبوراً عادة.

- إذا كنت تشير إلى السبت الماضي فاعلم أن ما حدث، كان رد فعل مفاجيء غير واع...

www.elromancia.com

ـ صدفة.. رمية من غير رام؟ إذن لقد وقعت هذه الصدفة ثلاث مرات حتى الآن، ولا أستطيع التريث حتى التالية! ربما أنت جزعة من الاعتراف بغيرتك لورنا.. أما أنا، فلا... فأنا محب غيور.. ما أحصل عليه يكن لي وحدي إذ أرفض كل الرفض أن يشاركني فيه أحد. أكره أن ينظر إليك أي رجل، فمايكل على سبيل المثال أكره أن يلمسك أو يقبلك وإن على وجنتيك.

ارتجفت حين برز لها أخيراً حب التملك عنده.

ـ ما الذي يعطيك هذا الحق؟

سرعان ما تحرك وسرعان ما أمسك بكتفيها ليجرها حتى انحنت فوق الطاولة.

ـ هذا.. هذا ما يعطيني الحق...

أحست بخصرها وساقيها تحشر في لوحة مفاتيح الكمبيوتر فتعلقت بكتفيه فزعة تحاول استعادة توازنها لتنتزع نفسها عن هذه المعدات التي تساوي ثلاثة آلاف دولار من التقنية الحديثة. لكنه لم يتركها بل استمر في شدها إليه وقلبه يخفق تحت قماش قميصه الحريري.

ـ هذا ما يعطيني الحق.. أترين...

أجبر ذراعيها على الالتفاف حول عنقه ثم لف إحدى ذراعيه حول خصرها، مردفاً:

ـ أهينيني، اهزئي بي، تجاهليني، لكنك لن تستطيعي تجاهل مشاعرك.. قد تكذبين في كل شيء إلا في هذا. أدرك الآن أنه ما كان يجب أن أتركك ترحلين تلك الليلة، كان علي أن أنفذ مآربي، وأثبت حقي به.

ـ ليس.. لك.. حق...

كانت تقاومه، لكن تدفق الحرارة التي هددت بالتغلب على إحساسها، جعلتها تفكر في مسؤولياتها، فلن تدعه يعتقد أنه قادر

على الاستيلاء عليها متى شاء.

ـ اوه لورنا.. كيف يمكنك قول هذا.. أتعلمين ما أحب أن أقوم به الآن؟ أحب أن أحملك معي إلى منزلي لنمضي فيه ما تبقى من النهار. أريد أن أحضنك، أن أحس بك. أريد سماع أهاتك.

غاصت كلماته الناعمة المثيرة إلى أعمق أعماقها.. تلمس وهي تغوص كل ذرة منها، وتثير كل جزء تلمسه.. تنهدت:

ـ وايد...

ـ اوه.. لورنا ليتك تعرفين ما تفعلين بي حين تلفظين اسمي هكذا.. أنا لست بولد صغير، سريع التأثر والإرضاء. حين كنت في الشوارع شاباً، كانت النساء وسيلة أخرى للثورة، لذا لم أعتبرهن إلا رموزا. أما الآن فلا أطلب إلا علاقة صادقة.. راشدة..

راقبته وقد تلاشت إثارتها ببطء وألم:

ـ دون أي ارتباطات..

ـ بالطبع سيكون هناك ارتباطات. فحتماً سيكون فيها كل ما يلزمه الاتصال البشري الحميم. قلت لك، إنني عاشق غيور، ولقد أظهرت لي الأحاسيس نفسها. لكن لن أرضى بروابط قانونية!.. لا.. لست مستعداً للزواج، وربما لن أستعدّ له. فأنا أكره ما ينتج عن الزواج من ذرية، أهناك ما يدعو إلى ذكر هذا ثانية؟

ـ لا.. لا لزوم لذكره.

حرّرت ببطء نفسها من ذراعيه، ثم راحت تسوي ملابسها بيدين مرتجفتين.

ـ إذن ما الذي يمنعك عني؟

كيف تستطيع أن تشرح له مخاوفها؟ إنه يرفض أن يشاركه أحد حياته، حتى هي ويتوقع مع ذلك الإخلاص والاهتمام الكامل. وهذا غير عادل، فهو ممن يتوقع من المرأة أن تقضي الليالي معه دون أي التزام.. متى يشاء، ممن يريد علاقة عابرة حرة من غير قيود وهو إلى

www.elromancia.com

ذلك يريد منها أن «تتخلص» من كافة العوائق في حياتها لتركز اهتمامها عليه.

ابتعد عنها متردداً، كارهاً، ليفتح باب مكتبه.

ـ ادخلي إلى الحمام لترتبي نفسك لأن من سيدخل سيلاحظ ما كان بيننا، ويظن بنا الظنون!

فهمت أمام المرآة في الحمام، ما يعنيه، فوجهها كان ملتهباً وفمها مرتجفاً وصدرها يعلو ويهبط على غير عادته. حين وضعت يدها على صدرها ذهلت لضربات قلبها العنيفة. وأحست بألم في كتفيها وفوق صدرها.. إنها بوادر الأزمة القلبية.. لكنها ليست تلك القاتلة.. أم هي كذلك؟

عرفت عندئذ أن عليها أن تعترف لوايد بحقيقة التوأمين سريعاً، فكلما أجلت الموضوع كلما صعب عليها الاعتراف. إنها أقرب أكثر مما تظن من الوقوع في حبه. وهذا كارثة... ليتها تستطيع منع نفسها من السفر إلى تلك المسافة الأخيرة.

عندما توصلت إلى حل شكوكها، وجدت نفسها محبطة في جهودها فلم تستطع الانفراد به لحظات، لأن سيلاً من الزائرين اندفع إليه ثم كانت هناك مخابرة جعلتها تكافح لحجز تذكرة سفر وغرفة في فندق.

ـ سأعود غداً.. كما أرجو وعندها نتكلم.

راقبته يخرج، فما عادت تحتاج إلى التفكير، بل تتوق إلى إنهاء الجزء الأكثر إرباكاً بأسرع ما يمكن.

لكن.. كان أن لم تره ثلاثة أيام.. فالورطة التي نشأت مع اتحاد العمال، طالت فيها المفاوضات. وحين اتصل بها في ساعات العمل، كان صوته متوتراً متعباً. وفي المساء حين اتصل بدا صوته مختلفاً. أدهشها هذا التغيير الذي طرأ عليه.. لكنها في الأمسية الثالثة وجدت نفسها منفتحة بدفء على مزاحه ومرحه.. لتحررها من نظرته الثاقبة.

تحدثت إليه بسهولة عن جاك. لكنها تجنبت بحذر ذكر الصبيين.. لن ترضَ أن تكون جبانة حتى تخبره عنهما هاتفياً. وفي تلك الليلة سلاها وايد بقصص عن طفولته وصباه، ولم يغازلها عابثاً إلا قليلاً، وكأنه يخاف أن يُخيفها بإظهار حب التملك كما حدث يوماً.

وتحدثا عن مايكل، ليعبر لها عن خيبته فيه، لكنه كذلك عبر لها عن ارتياحه لتراجع شقيقته عن الشكوى، وربما حتى الفصل القادم. ثم أتبع كلامه قائلاً:

ـ ليس لدي نزعة للعب دور الأب، لأولاد رجل آخر.

أقنعت لورنا نفسها بأن هذا تعليق عفوي على موقف خاص.. فهي لن تطلب منه لعب دور الأب.. بل تريد منه أن يعامل الولدين على أنه لن يسرق منهما أمهما.

كان الوقت متأخراً يوم الخميس حين وصل إلى المكتب.. وقد استدعى ستيفن للقاء عاجل فوري. ثم ابتسم للورنا بتعب معتذراً، سجلت ملاحظات من حديثهما، وأجابت عن المخابرات التي أبدى منها وايد انزعاجه وحين رن مرة أخرى، انتزع السماعة بنفسه، ثم ناولها السماعة:

ـ إنه إيڤور..

ـ لورنا؟

حالما سمعت صوت إيڤور حتى عرفت. فهو لا يستخدم هذه اللهجة إلا نادراً..

ـ لا! (صاحت مذعورة).

ثم ترنحت، كان كل عصب، وكل عضل، يصرخ اعتراضاً مسبقاً على ما ستسمعه منه.

وكان وجهها قد شحب حتى قبل أن يقول إيڤور:

ـ أنا آسف لورنا... وقع ريشار عن لوح الانزلاق عندما كان

www.elromancia.com

يلعب وقد وقع رأسه على الإسفلت، وغاب عن الوعي.. نحن في العناية الفائقة في المستشفى.. فرنسوا معي لأنني كنت مضطراً إلى اصطحابه فقد جُنّ جنونه حين قلت له: اذهب إلى بيت صديقك بدل الصعود إلى سيارة الإسعاف.

ـ آه.. يا إلهي!

اندثر كل أثر من لون وجهها وضج قلبها، وما عاد يضخ إلا الهواء:

ـ سأحضر حالاً.

ثم أخفضت من غير وعي السماعة التي اصطدمت بجانب الطاولة حيث تدلت إلى الأرض. أحست بأنها تكاد تغيب عن الوعي. ووهنت ساقاها فقد عاودتها الذكرى، ذكرى رائحة المطهرات في المستشفى وصرير عجلات عربة الأدوية.. والتمتمات الطبية الهادئة وضربات آلة المراقبة المرعبة. وعادت الكوابيس القديمة تسخر منها، حتى سبح جسدها فجأة في عرق بارد.

ـ لورنا؟

سارع ستيفن ليلف ذراعه حولها.. لكن يداً أبعدته عنها بعنف ثم ضمت الجسد المرتجف المتهاوي:

ـ لورنا.. ما الذي حدث؟ هل أصيب إيفور؟

ـ لا..!

راحت تهز رأسها بعنف تحاول البحث عن بعض القوة.. ابنها.. ولدها يموت.. وما هي إلا هنيهة حتى انتزعت نفسها من ذراعي وايد.

ـ يجب أن أذهب.. يجب أن أذهب!

وركضت متعثرة نحو الباب الخارجي دون أن تتناول حقيبتها، فهي لا تعي شيئاً ولا تلوي على شيء، تريد الوصول إلى ريشار حتى تراه...

لكن وايد أمسك بها وقال بصوت تناهى إليها من بعيد:

ـ لست في حالة تسمح لك بالذهاب إلى أي مكان. سأصطحبك بنفسي.. إلى أين؟

صاحت به:

ـ المستشفى.. المستشفى!

وبدأت الدموع تنهمر بغزارة.

ـ ريشار مصاب وقد يموت..! دعني أذهب!

ضربته بقبضتها فتلقى الضربة دون أن يرف له جفن فقد شحب وجهه ثم راح يتحدث دون أن تترك عيناه وجهها.

ـ تولّ الأمر ستيفن.. سأتصل بك.. هيا بنا لورنا.

أمسك مرفقها ثم اقتادها نحو المصعد.. لم تحس لورنا بالمسافة التي اجتازاها وصولاً إلى المستشفى، فقد جلست متصلبة، بيضاء الوجه، صامتة، جافة الدمع، تحس بالغثيان خوفاً وغضباً على ظلم القدر. لا يجوز أن تخسر ريشار.. لا يجوز. تأوهت، كحيوان جريح متألم.

كان وايد يتجاوز في سرعته بضع إشارات حمراء، لكن لورنا لم تكن تعي وجوده. عندما دنت من المستشفى تركت السيارة وراحت تركض حتى قبل أن يطفىء المحرك. وقفت أمام الاستعلامات تسأل بصوت مرتجف عن المصعد ثم لحق بها وايد الذي سارع إلى مد يده يمسكها حين تعثرت مرتين من سرعتها. لكنها دفعت يده عنها، وكأنه يحاول منعها من الوصول إلى ابنها. وصاحت به أن يدعها وشأنها، لكنه تابع اللحاق بها. أخيراً شاهدت إيفور.. كان وحده، محني الكتفين، يبدو ضئيل الجسم عجوزاً.. وركضت نحوه.

ـ إيفور!

ابتسم حزيناً:

ـ ما يزال فاقد الوعي «شيري».. إنهم بانتظار صورة الأشعة.

www.elromancia.com

يظن الطبيب أن هناك ضغطاً متزايداً على الدماغ.

ترنحت لورنا:

ـ آه.. يا الله!

أحست بدفء صلب يدعمها من الخلف وبيد ثابتة تمسك خصرها، لكنها في هذه المرة لم تعارض.

ـ اوه.. ريشار.. لماذا حدث له ما حدث؟ هل أستطيع رؤيته؟ فرنسوا. أين فرنسوا؟ أين فرنسوا؟

أرادت أن يطمئن بالها برؤية صورة ريشار.. وأرادت أن تحتضنه، أما وايد من خلفها فقد أحس بطعنات نجلاء في صدره.

ـ إنه مع إحدى الممرضات فهو ما يزال متأثراً. سأحضره.. سأسأل إذا كان بإمكانك رؤية ريشار.

أكد وايد للرجل العجوز بسلطة هادئة:

ـ سأبقى معها. أنا وايد تيرانت.

فتمتم إيفور:

ـ إنها تكره المستشفيات منذ حادثة جاك...

ـ سأعتني بها.

كانت خشونة صوته بمثابة قسم، فهز إيفور رأسه شاكراً قبل أن يبتعد. كانت لورنا أثناء حديثهما القصير تتمتم بذعر:

ـ هل سيموت؟ هل سيموت؟

أمسك بيديها الباردتين فدلكهما بلطف. نظرت إليه نظرة الضائع الباحث عن الدفء والقوة التي تطلبها فبدا لها هادئاً، واثقاً، يتلقى نظرتها المذعورة بعينين زرقاوين متعاطفتين.

ـ ليس أمامنا إلا الانتظار. الانتظار والأمل.

صاحت مذعورة:

ـ لكنني لن أنتظر فقد يموت كما مات جاك ونحن بالانتظار. انتظرنا أسابيع ورغم ذلك مات.. ريشار سيموت، كما مات جاك.

ـ لا تفعلي بنفسك هذا حبيبتي.. لا تزيدي الأمر سوءاً! الطبيب يقوم بما في وسعه.. ويجب أن تؤمني به.

ـ لا أدري إن كنت قادرة على الإيمان به.

في صوتها حشرجة دموع؛ دموع العجز أما في عينيها فجمود رهيب.

ـ سأؤمن به عنك.

ضمتها ذراعه بلطف عسى أن تقبل هذه المؤاساة البسيطة التي يستطيع أن يقدمها لها.. كان يرغب بقوة في أن يضمها ويضمها حتى يخفف عنها وطأة الألم. أراد أن يحميها من الألم... يا إلهي ما هو هذا الحب العميق الذي تكنه؟ وكيف له أن ينافس حباً كهذا؟

شاهد من فوق رأسها المحني على صدره صبياً صغيراً يخرج من باب. يتبعه إيفور، وممرضة ترتدي زياً رسمياً. للصبي عينان كبيرتان قاتمتان دامعتان، تركزتا على وايد. صدمت الحقيقة وايد حالما اندفع الصبي يركض:

ـ مامي!

ـ فرنسوا!

وانهارت لورنا على ركبتيها تحتضن الجسم الصغير بطريقة غير معقولة.. وبشكل لا يصدق: بجوع وشوق، بخوف ولهفة، في محاولة منها لاحتضان ابنها الآخر. لامست رأسه، شعره وأمسكت كتفيه النحيلين المرتجفين.

ـ حاولت إمساكه.. حاولت حقاً.. كان يجب أن أمنعه من الصعود...

ثم انتقل عن غير وعي إلى التحدث بالفرنسية بالطلاقة ذاتها:

ـ .. كنت أريد منعه.. وكنت وراءه.. لكنه وقع..! وما عدت أعرف ما أفعل.

ـ رويداً حبيبي.. رويداً.

www.elromancia.com

هدهدته بين ذراعيها، تواسيه بكلمات الحب باللغتين.. تجد القوة التي فقدتها في تهدئة الآخر.

ـ لم تكن غلطتك يا صغيري..! إنه حادث وقد أبليت فيه حسناً. هيا الآن تحلَّ بالشجاعة من أجله.

وأجهش الصبي باكياً:

ـ كانت عيناه غريبتين.. هل سيموت مامّا؟ هل سيموت؟

قبلت رأسه الناعم الشعر:

ـ لن ندعه يموت.. لن ندعه يموت... لكن يجب أن نكون شجعاناً ويجب أن نكون مستعدين حين يحتاج إلينا.

هدأت فكرة قدرته على مساعدة أخيه من روعه. مع أن وجهه الصغير بقي متألماً مرتبكاً بتلك الدموع، أمسكت لورنا بيده، ووقفت.. تنظر إلى ما وراء وايد، والصدمة على وجهه. تنظر إلى حيث خرج الطبيب بهدوء من إحدى الغرف. كان كل كيان لورنا مركزاً على تقدمه. دعت الله كما لم تدعه في سنوات ست.

* * *

٩ ـ الكابوس

قعدت لورنا دون أن تتحرك ممسكة يد ابنها الصغيرة، وقد اختلط عليها النهار بالليل في تلك الغرفة الصغيرة الخالية من النوافذ. لم يكن لديها فكرة عن الوقت الذي أمضته وهي تحافظ على يقظتها..

قام أطباء وممرضات بدوراتهم التي لا تنتهي، وأدخلت صوان من القهوة والطعام ثم أُخرجت دون أن تمس تقريباً. كان يدخل عليها أحياناً فرنسوا وإيفور وقد وعت حضور وايد تيرانت بضبابية، ولكن حضوره لم يخفف من وطأة فجيعتها.

كان الدكتور بندلتون، واضحاً في كلامه مراوغاً كعادة الأطباء.

ـ ثمة كسر بسيط، لكن ليس هناك ضغط واضح داخل الجمجمة.. مسألة عدم استعادة ريشار وعيه مثيرة للقلق.. إلا أن في الوضع أمراً إيجابياً، فنحن لسنا بحاجة إلى وضع تنفس اصطناعي له، والدلائل الأساسية جيدة.

همست لورنا ونظرها مثبت على ابنها:

ـ لماذا إذن ما يزال فاقد الوعي؟

ـ نعرف الكثير عن الدماغ وطريقة عمله، لكن هناك الكثير من الأمور الخافية عنا. لقد بذلنا جهدنا وما علينا إلا الانتظار والأمل.

رفضت الأم في لورنا حذر الطبيب، لقد أصبح صدى الماضي أعلى وأقوى.. لماذا يفترض الأطباء دائماً بأن الأقارب غير قادرين

www.elromancia.com

على فهم التوقعات الطبية؟ تريد أن تعرف، ما هي نسبة نجاة ريشار.. ثمانون بالمئة؟ أربعون بالمئة؟ ألن يستيقظ أبداً؟ أم سيقضي حياته كسيحاً؟ تحتاج لورنا إلى معرفة أسوأ الأوضاع المتوقعة، ولن تؤلمها المعرفة.. فمشاعرها مجمدة فوق جسد ابنها الفاقد الحس، والمعرفة خير من عدمها.

قاومت بشراسة محاولات إبعادها عن سرير ابنها. فما كان من إيڤور عند ذاك إلا أن أحضر حقيبة لها، فعاشت وأكلت وشربت ونامت بين جدران سجنها المختار.. مع أنها لم تكد تفعل شيئاً من هذه الأمور، فقد بقي السرير الضيق قرب الجدار الآخر دون استخدام لأنها كانت تخاف إذا تخلت عن يقظتها، أن يتسلل ريشار مبتعداً عنها.

ـ لورنا؟

تعرفت إلى الصوت فالتفتت:

ـ ما زال على حاله

دخل وايد تيرانت إلى الغرفة، ووقف إلى جانبها.

ـ أعرف أنه على حاله، سألت الطبيب عنه. ها هي ثلاثة أيام قد مضت وأنت في هذا المكان.

ـ شكراً لزيارتك.

ـ أنا لا أزوركما فقط.. فقد أحضرت فرنسوا وإيڤور معي..

رفعت رأسها وليتها لم ترفعه فعلى وجه وايد قناع قاس بارد أرعبها، فهذه النظرة تسبق قيامه بعمل لا يحبه.

ـ ما كنت مضطراً لهذا.

ـ أجل.. لكنني فعلت.. أتعرفين أن الوضع شديد الوطأ على إيڤور؟ فهو قلق عليك وعلى فرنسوا وعلى ريشار؟

ـ طبعاً أعرف.

أيشير إلى أنها لا تعرف صعوبة الوضع؟ إنها هي من تقعد هنا،

ليل نهار، تحمل وزر القلق كله. وإيڤور وفرنسوا يفهمان هذا، ويعرفان أن ريشار هو الأهم حالياً.

ـ في الواقع.. أنا أحضرهما يومياً فهما يقيمان معي لأن منزلي قريب من المستشفى. أوصل دائيد يومياً إلى المدرسة وأنا في طريقي إلى المكتب.. تقول معلمته إنه قلق، غير مستقر، لكنه يستوعب دروسه رغم هذه الظروف.

نظرت إليه بليدة الحس. ما الذي يريده؟ العرفان بالجميل على صنيعه الطيب؟ لم يطلب منه أحد أن يورط نفسه! فلماذا يفعل؟ إنه ينظر إليها متجهماً.. وكأنه يريد أن يضربها.. كيف يريد منها أن تفكر في الأمور اليومية وريشار ربما يرحل إلى حتفه؟

بدأت تقول بكراهية ورأسها يؤلمها من التركيز:

ـ حسناً.. شكراً لك..

رد عليها بحدة:

ـ لا أريد شكرك... ألم يأن لك التوقف عن دفع الجميع بعيداً عنك؟ فثمة من يحب ريشار... ألا تظنين أنه حان الوقت للسماح لهم بإظهار حبهم؟

ـ لا أفهم ما تعني.

ـ أعني أن إيڤور وفرنسوا يشعران بأنهما مقصيان.. إنهما بحاجة إلى قضاء بعض الوقت مع ريشار.. لكنك لا تسمحين لأحد بالاقتراب منه. تجلسين هنا منغمسة في حزنك وكربك وتنسين حزنهما وكربهما.

أحست لورنا بأن جدار التخدير حولها اهتز من هول الضربة.. فتركت يد ريشار ووقفت مترنّحة، شاحبة من الألم والغضب اللذين جعلاها لا تنتبه إلى دخول الطبيب برفقة وايد. وضع الطبيب يده الآن على كم سترة وايد يحاول منعه من إكمال كلامه:

ـ سيد تيرانت..

www.elromancia.com

- لا دكتور.. إنها بحاجة إلى ما أقوله. إن إيڤور وفرنسوا بأمس الحاجة إلى تقديم المساعدة. فليمضيا بضع ليالٍ معه.. وليشاركاك المصاب عوضاً عن إقصائهما.

انتفضت لورنا عندما سمعت الاقتراح:

- لا! بل يجب أن أبقى... يجب! إنه ابني! لا أستطيع تركه.. إنه ابني...

- وهو شقيق فرنسوا وتوأمه، وحفيد إيڤور.. إنه ليس ملكك وحدك.

كان صوت وايد متهدجاً ألماً لاضطراره إلى جرحها، لكنها لم تسمع إلا ما تشير إليه كلماته:

- لكنك لا تفهم.. اذهب من هنا! أنا لم أطلب منك التدخل. لم أطلب منك المجيء.. اذهب!

- لا أستطيع لورنا.. لا أستطيع تركك تحملين هذا الوزر كله.

كان يعلم أن العاصفة بدأت تهزها، وأن رقته معها كحد السكين...

- أنت لا تعرف معنى هذا، وكيف تستطيع؟ ليس لك أولاد.. كيف تفهم؟ أنت لا تعرف.. لا تعرف..

وتلاشى صوتها حتى غدا همساً فاحتج الطبيب إلا أن وايد دنا منها وضمها بين ذراعيه.

- أعلم أنك تتألمين.. وأعلم أنك لن تستطيعي الاستمرار على هذا الحال، فأنت لا تعرفين ما تقولين أو تفعلين.. أنت بحاجة للطعام والراحة.

- لا أستطيع تركه...

قاومت رغبة ملحة في الغوص بين ذراعيه والبقاء هناك إلى الأبد إذ كانت الأيام الماضية باردة.. اوه.. ما أقسى بردها. وها هي فجأة تحس بالدفء يتسرب إلى جسدها... فالجسد القوي الذي يحتويها

كان آمناً، يضج بالحياة والأمل.

- هيا حبيبتي.. لا تقاوميني.. وما الفائدة إذا بقيت على حالك هذه؟ يجب أن تستردي قواك.. ولن تغيبي إلا خمس دقائق عن المستشفى.. فليتولَّ أحدهم مسؤولية مراقبته عنك فترة قصيرة.

أضاف الطبيب إلى منطقه:

- قد يفيده هذا. أنت تقرئين له وتكلمينه بصوت مرتفع منذ أيام. ربما إذا اختلف الصوت على مسمعه قد يحدث شيئاً، ألم تقولي إن بينه وبين فرنسوا رباطاً وثيقاً، فلربما تلك الذبذبات الخاصة التي يملكها التوائم قد تساعد على تحريك عقله الباطني.

أحست لورنا وهي بين ذراعي وايد بأن مقاومتها تزول، كان كل شيء مشوشاً بالنسبة لها. فجأة أحست بأطرافها تثقل إلا رأسها، الذي أحست به خفيفاً، منفصلاً عن بقية جسدها..

سمحت لوايد متعثرة أن يقودها إلى الممر الخارجي حيث استجمعت فيه القوة لتعطي فرنسوا المنتظر قبلة وعناقاً.

- لقد أحضرت معي حقيبة صغيرة فيها بيجاما وبعض الكتب لأقرأ لريشار، ومعي أيضاً شريط تسجيل عن حرب الفضاء الذي هو المفضل لديه.

رمشت عينا لورنا ثم راحت تمسح شعره القاتم.

- أنا محظوظة لأنك ستحل محلي الآن.

وشدها وايد مبتعداً بحزم، لكن بلطف لا حدود له:

- تعالي لورنا.. أنت على وشك الوقوع.

- ستتصل بالطبع إذا حدث شيء؟

فابتسم إيڤور متجهماً.. لكن بارتياح.

- أعدك.. فلا تقلقي.. وايد سيعتني بك.

واعتنى بها وايد.. لكنها لم تذكر لحظة منها.. فقد هزمها جسدها، ووقعت نائمة ما إن وضعها في سيارته. وحين استفاقت كان

النهار قد طلع... فدفعت نفسها عن السرير وأظهرت القرف من الطعم الكريه في فمها ومن الضجيج المؤلم في رأسها... هي لا تذكر أنها خلعت ملابسها بل لا تذكر شيئاً بعد مغادرتها المستشفى.

ـ آه.. لقد استيقظت أخيراً.. أنا السيدة ميرون مدبرة المنزل.. طلب مني السيد تيرانت أن أراقبك بين الحين والآخر. ليس هناك أي تغيير في حالة الصغير.. وأنا آسفة لما حلّ بك، فالوضع رهيب دون ريب.. قال السيد تيرانت إنك على الأرجح تريدين الإسراع في العودة إلى المستشفى.. وأرسل لك سيارة أجرة.. لكنه أكد على وجوب أن تأكلي أولاً، لذلك حين تصبحين جاهزة انزلي إلى المطبخ.

لم يدللها أحد على أمومتها منذ زمن، حينما انسحبت المرأة، اندست في المغطس بارتياح... لقد نامت أربعاً وعشرين ساعة تقريباً وما زالت متعبة... غسلت شعرها، وجسدها ببطء، متمتعة بالنظافة للمرة الأولى منذ أيام. لكن المياه الساخنة سلبت منها ما تبقى من قوة... ارتدت ملابسها ببطء، تحاول إبعاد النعاس عن عينيها ثم وجدت الطريق إلى الأسفل، حيث المطبخ الذي راحت فيه مدبرة المنزل تعتني بها حتى تناولت عشاءاً مبكراً مؤلفاً من حساء وبيض مقلي.

كانت لورنا تتناول عشاءها والسيدة ميرون تنتقل من موضوع إلى آخر.

في المستشفى، عندما دنت من غرفة ريشار أحست بالارتباك يعود ليقلص معدتها. لكن تقرير السيدة بندلتون كان صائباً ودقيقاً جداً، فلقد كان ريشار راقداً كما تركته، وإيڤور يجلس إلى جانبه يقرأ له، والراديو يعزف الألحان بهدوء.

بعد تبادلهما التحية، قالت معتذرة:

ـ آسفة إيڤور.. لماذا لم تقل لي شيئاً..

ـ كنت تقومين بدور الأم بجدارة «شيري» لذا لا أستطيع أن ألومك، لكن وايد كان الشخص الوحيد الذي رأى بوضوح ما تفعلينه بنفسك. قلت له إنني لا أريد إجبارك على الخروج ضد إرادتك.. فقال إنه سيتحمل المسؤولية.

تصلبت لورنا، فلن يكون أحد مسؤولاً عنها:

ـ لا حق له..

ـ لقد اكتسب هذا الحق لورنا.. كان بإمكانه تركك والابتعاد عنك حالما أوصلك إلى المستشفى، لكنه لم يفعل.. إنه رجل كريم شهم ولا أشير بقولي هذا إلى المساعدة المادية التي قدمها.. بل لما أمضاه من وقت مع فرنسوا. كنت دائماً تتحدثين عن انشغاله الدائم بالعمل، أتعلمين أنه تخلى عن اهتمامه بعمله لصالح الولد القلق.. رحب بنا في منزله وتمتع برفقتنا حتى.

ـ لكن لماذا؟ لماذا يفعل هذا؟

كان سؤالها موجهاً إلى نفسها أكثر منه لإيڤور، الذي نظر إليها مفكراً:

ـ هذا ما يجب أن تسأليه عنه يا صغيرتي..

ـ سأفعل.. فيما بعد.. حين يستعيد ريشار...

ـ لكن لا تجرحيه عزيزتي.. إنه رجل طيب.

لماذا يفكر إيڤور على هذا النحو؟ وكيف لها أن تجرح وايد تيرانت؟ فماذا قال لإيڤور حتى يقول هذا؟ أعنى بذلك كبرياءه؟ أم غروره؟

أحست بالارتباك حين وصل وايد فيما بعد، يده بيد فرنسوا. أحست بغيرة مقلقة حين رأتهما معاً... لكنها لم تكن تعرف ممن تغار.. من وايد لاكتسابه عطف ابنها وحبه أم من فرنسوا لاستغلاله حرية الطفولة للتعلق بوايد؟

رفعت عيناها فإذا بهما تلتقيان بعينيه الزرقاوين، ما إن ابتسم

www.elromancia.com

ابتسامة مشرقة حتى تلاشى امتعاضها فقد بدا وكأنه يعرف تماماً ما يفعل. وبدا كذلك متمتعاً بنظرتها المرتبكة وبتشوش أفكارها. هذه هي المرة الأولى التي يراها فيها دون أن تغضن خطوط التوتر وجهها. هذا الصباح حين شاهدها نائمة، بدت ناعمة هادئة وكأنها تنتمي إلى هناك؛ إلى منزله، إلى حمايته.. قال لها بنعومة:

ـ ابنك مصدر بهجة لي.. إنه رائع.. لذا عليك الفخر به.

ارتفعت حشرجة ألم إلى حنجرتها، فقد صدمها ما في كلماته من معاني الإخلاص والصدق، وهي في الواقع تحب رأيه بمن تحب. أجابت:

ـ أنا بالفعل فخورة به.

ـ إذن، لن تعترضي على أن يقضي ليلة أخرى مع أخيه؟ أرجوك لورنا.. أنت بحاجة على الأقل إلى ليلة أخرى للراحة.

وجدت نفسها تذعن له، لكنه لو وجه أمراً لثارت في وجهه، ثم لم يلبث أن غاب بضع ساعات ثم عاد قبل موعد العشاء، ليصطحبها. صعدت إلى السيارة بخضوع فإذا بها تتساءل للمرة الأولى عما يحدث خارج المستشفى في العالم الواقعي.

ـ كيف تجري الأمور في المكتب؟

ـ حلّت جانيس مكانك.. تذمرت قليلاً من الروتين الجديد لكن حين قابلت فرنسوا عادت كالحمل الوديع.. إن لذلك الولد طريقة خاصة مع النساء... كان عليك رؤيته وهو يفتن الممرضات.

تمتمت لورنا لنفسها «مثلك تماماً» لكنه سمعها:

ـ أذهلني هذا الواقع، لكن ذهولي الحقيقي كان عندما علمت أن حبيبيك ابناك.

ساد صمت قصير أتبعته بقولها:

ـ كنت سأخبرك.. لكن..

ـ هل أنا حقاً ذلك الوحش الذي صورته للصغيرين؟ هل ظننت

حقاً أنني سأطردك؟

ـ لست أدري.. في الآونة الأخيرة ما عدت قادرة على التنبؤ بمزاجك.

ـ لكنني بشري. ألا تعرفين هذا على الأقل؟ أم كنت خائفة من ردة فعلي كرجل، أكثر من ردة فعلي كرب عمل. ألا تدركين لورنا أن معرفتي بأنك رعيت طفلين صغيرين بقلبك وروحك قد يزيد رغبتي فيك؟

أوقف السيارة أمام باب منزله، وهو يردف:

ـ الله وحده يعلم، كم كافحت لتعليلهما في بعض المراحل... وليس لديّ سوى الاحترام لما قمت به من عمل رائع. هذا يُشعرني بأنني لا أناسبك. أنا من لم أحب أحداً، من لم يعرف قط معنى أن ينزف القلب لشخص ما.. لورنا.. لقد جعلتني أدرك أنني لا أملك شيئاً، رغم ثرائي.

أرجفها ما في كلماته من حسد وإحساس بالفراغ.. أيكون بطريقته الخاصة، هشاً سريع العطب مثلها؟ ألديها حقاً القدرة على إيلامه؟

مرت بها أمسية غريبة.. وكأنه كان يحس باهتياج أعصابها الناتج عن اعترافه. فركز على أن يجعل صحبته لها مريحة قدر الإمكان، وقد تمكن من أن يُضحكها بضع مرات..

ضبطها تتثاءب وهي تتناول قهوتها.

ـ آن وقت النوم لورنا.

إنه متعب أيضاً فعدا العمل المرهق الذي يقوم به، هناك ما يقوم به من أجلها وأجل عائلتها.

بعد نوم ليلة أمس العميق، جاءت الأحلام الليلة صادمة.. فقد حملتها إلى عالم خوف وعجز مظلم.. كانت تكافح للوصول إلى ريشار، لتساعده، لكن شيئاً ما كان يعيقها... صرخت وقاومت،

www.elromancia.com

لكنها لم تستطع الخلاص، لم تستطع التحرك. وكان الخوف يمد يديه حول عنقها ليخنقها.

فجأة ما عادت تلك يدي الخوف بل ذراعان دافئتان قويتان مألوفتان تشدانها إلى صدر قوي امتص منها دموعها كلها.

ـ هس، هس لورنا، هذا أنا وايد.. لا بأس عليك حبيبتي. أنا هنا ولن أتركك، لورنا.

ردت بصوت متقطع:

ـ لكنك.. تركتني!

ما كانت تعرف مع من تتكلم أهو جاك أم ريشار؟ بل ما كانت تعرف ما تعني بقولها إلا أنها كانت بحاجة لمن يحضنها ولمن يحبها.

ـ أنا هنا الآن.. ولن أتركك أبداً.

راح يهدهدها بين جنة دفئه.. لكنها لم تستطع إيقاف الدموع فقد تفجر الخزان أخيراً، وتصاعد البكاء والنحيب من داخل صدرها، رغم رعبها من الموت، ومن خسارة من تحب. راحت تبكي وتبكي حتى ابتل الصدر الدافىء بدموعها وحتى أصبح الألم الحاد وجعاً خفيفاً فاتراً.

تأوهت تدفن وجهها بين نعومة ذراعه التي تحيط بها:

ـ إنني متألمة وايد.. متألمة.

ـ أعرف حبيبتي.. أعرف.

وأحس بألم حقيقي تجاهها وبإحساس آخر بالسعادة لأنها تعرف، حتى في كابوسها، إلى من تلتجىء. كانت نائمة حين دخل، تقاتل الرعب وحدها وحين ضمها إلى قلبه صرخت تناديه...

تعلقت به بائسة تتوسل:

ـ دع هذا الألم يرحل، دعه يرحل.

إنه هو من يستطيع أن ينسيها ألمها، هو من يستطيع محو الألم وهو القادر على مساعدتها على الهرب من الواقع، ولو لفترة صغيرة.

مع ذلك لم تكن ترغب في أن تُدلل كالصغار.. بل تريد قوته وحيويته.. أرادت أن يمسح الألم من داخلها بأن يجعلها تتألم بطريقة أخرى.. فتوسلته بخشونة:

ـ إشفني وايد.. ساعدني...

وجذبته إليها.. لكنه تأوه ونظر إليها:

ـ لورنا.. لا تفعلي هذا. يا إلهي.. أنت لا تعرفين ما تفعلين.

لن يستطيع أبداً استغلال لحظة ضعفها.. فسيحتقر نفسه طوال عمره لو فعل، وستكرهه هي كذلك.

ـ أنت تريدني.. أما قلت إنك تريدني؟

أمسك بيدها:

ـ لورنا، بالله عليك، ليكن في قلبك رحمة. فستندمين على هذا.

فجأة تراجع.. فتأوهت لمقاومته:

ـ لا.. لورنا.. ليس هكذا...

وأبعد نفسه عنها.. ينظر إلى عجزها عن السيطرة على نفسها.

رمت رأسها إلى الوراء مرتجفة، بعد أن تركها وخرج دون أن ينطق بكلمة أخرى.

عاودها تلك الليلة هذا الكابوس مرتين وقد عاد وايد إليها مرتين وعندما استيقظت في المرة الثالثة وجدته مرتدياً ملابسه يجلس إلى جانبها على حافة السرير.. كانت الكلمة الأولى التي خرجت منها سؤالاً:

ـ ريشار؟

ـ على حاله.. اتصلت بالمستشفى منذ دقائق.. كيف تشعرين؟

أحست بالقشعريرة فجأة، وعاودتها ذكرى ليلة الأمس. فضاقت عيناه وهو يراقب احمرار وجهها.

ـ وايد.. ليلة أمس..

رد بنعومة، يردد كل كلمة على حدة:

ـ لا تتفوهي بكلمة.

أحست بأن جسدها كله مدموغ حرجاً:

ـ ما.. ماذا؟

ـ لا تقولي إنك أخطأت...

ـ حاولت.. استغلالك.

فابتسم:

ـ أعرف.. وقد استغليتك قليلاً كذلك، عرفت أنك لمّا تستعدي بعد. لذلك توقفت... لكن فلنتفق على أن ليلة أمس كانت لك.. وعلى أن هذا الصباح لي.

ـ لا يا وايد فعليك الذهاب إلى عملك.. عندما أكون في المستشفى.

ـ يجب أن نمهل أنفسنا لورنا.. يجب أن نجرب.. أعرف أنك تمرين الآن بمرحلة صعبة، لذلك لن أضغط عليك، لكنك تعرفين أنك قادرة على الثقة بي، وليلة أمس برهان علىٰ هذا، وإلا لما دفعك عقلك الباطني إلى ما طلبته مني. ثقي بي واعتمدي علي أثناء مرض ريشار. ابقي هنا معي.. أنت وإيفور وفرنسوا. اتكلي عليّ، استغليني مهما كانت حاجتك لكن لا تبعديني عنك. فأنا بحاجة لمن يحتاج إلي كذلك.. أتعلمين هذا؟

* * *

١٠ ـ باقة ورد

راقبت لورنا ابنها ريشار وهو يسير صعوداً ونزولاً بين أسرة الأطفال في العنبر. يرمي نكاته السخيفة ويودّع المرضى، فقد تحسنت حاله الآن وامتلك طاقة مضاعفة عن طاقته السابقة.

هزت لورنا رأسها للطبيب:

ـ لدي إحساس غريب بأن هذا كله لم يحدث حقاً... وكأن كل شيء حلم مزعج.

ـ إنه رد فعل عادي، خاصة في حالة كحالة ريشار، وكما قلت لك منذ البداية، ثمة ما لا نعرفه عن الدماغ، إذ تحدث أحياناً أشياء لا يفهم لها الطبّ سبباً. لا نستطيع إلا أن نشكر الله الشافي.

كان قد فتح ريشار عينيه فجأة بعد عشرة أيام من الحادثة، طالباً الطعام، كان ضائعاً لا يركز كثيراً، لكنه لا يشكو من ألم، ومنذ ذلك الوقت أخضع ريشار إلى سلسلة من الاختبارات اجتازها جميعاً بنجاح باهر.

كانت تحس فعلاً، بالشهر الذي كان أشبه بحلم. كانت تقضي نهاراتها في المستشفى أما الليالي فكانت تمضيها في منزل وايد تسهر قليلاً قبل أن تأوي إلى غرفتها. في هذه الأثناء بدا أن من غير المجدي إنكار حبها له، أو التظاهر بالخجل أو التردد بعد الإلحاح والرغبة التي أبدتها له. وأصبح حبهما، جزيرة منعزلة، ملاذاً يرميان فيه الماضي والمستقبل، أمام سعادة الحاضر، ووجدت لورنا أن حبه

www.elromancia.com

كالمخدر، يشعل فيها أحاسيسها، يركز الضوء واللون، واللمس والذوق.. أحبته بشراسة أكثر، دون تحفظ.

عندما تقدمت حال ريشار بدأ عالم أحلامها الجميلة يتلقى بعض الصدمات.. أولاها كان رد فعل التوأمين تجاه وايد، فقد وقعا أيضاً تحت سحره وحدث أن قال لها فرنسوا مرة مؤنباً متهماً:

ـ وايد ليس كما وصفته أبداً.

وأضاف ريشار:

ـ وهو يميّز أحدنا عن الآخر.. يوم أمس بدلت وفرنسوا أماكننا لكن عمي وايد عرفنا في الحال.

ردت عليهما بسرعة:

ـ حسناً.. أنت أنحل من أخيك الآن.

حين استطاعت أخيراً أن تجبر نفسها على التوقف والنظر إلى الوضع الذي زجّت نفسها فيه أحست بأولى بوادر الذعر. فوايد رغم تقاربهما، لم يتحدث عن مشاعره، وكأنه يتعمد التباعد، نعم هو يؤكد على «رغبته» فيها بصراحة، ويتمتع بصحبتها، لكنه لم يتكلم قط عما سيحدث بعد شفاء ريشار... ترى هل ينتظر منها القيام بالخطوة الأولى؟ لكنها لن تجرؤ على هذا.. وهي إلى ذلك باتت غير قادرة على قراءة أفكاره كما كانت حين كانت سكرتيرته فالحب تدخل بينهما، مع أنها لم تستطع البوح به علناً.

ارتجفت لورنا وهي ترافق ريشار خارج المستشفى.. هذا الصباح، حشدت شجاعتها أخيراً لتتفحص الأجواء.. وكادت تغرق نفسها في المحاولة.

كان وايد يربط ربطة عنقه أمام المرآة، حين دخلت غرفته، فابتسم لها، وعيناه الزرقاوان دافئتان حنونتان، أيمكن لمن يبتسم هذه الابتسامة أن يفكر في الابتعاد عنها؟ لقد أحبت الطريقة التي كانت عيناه تنظران إليها، وأحبت حنايا وجهه القاسية وأنفه المتعجرف..

واختصاراً، أحبت كل ما فيه لكنه سيسبب لها الألم الرهيب.. فاندفعت تقول:

ـ وايد.. أظن أن عليّ بعد أن أصطحب ريشار من المستشفى.. أن أتوجه رأساً إلى البيت، فقد حان وقت عودتنا. لقد تحملّت منا جميعاً الكثير لكن...

ـ تحمّلت؟ لورنا؟ أهذا ما كنت أقوم به؟ إنك تخيبين أملي لورنا؟

أحست بعصبة حريرية تشتد حول عنقها حتى تكاد تخنقها من جرّاء الرد المؤنب:

ـ أنا... الطبيب.. طلب الطبيب ألا يلتحق ريشار بالمدرسة أسبوعاً آخر كما طلب أن نعيده إلى حياته العادية في أسرع وقت ممكن. قال إنه بعد العناية التي يتلقاها، سيكون متطلباً أكثر من اللازم.

كانت عيناها في كل مكان لكنهما لم تتوجها إلى وجه وايد الذي سألها بهدوء:

ـ ومتى تنوين العودة إلى العمل؟

ـ حين يعود ريشار إلى المدرسة هذا إن لم يكن لديك اعتراض. أعلم أنني عطلت ما فيه الكفاية، لكن أسبوعاً آخر.. لا أريد أجراً، أو أي شيء.. أكنت في إجازة هذه المدة أم ماذا؟

قاطعها بصوت أجش مخنوق:

ـ اللعنة عليك لورنا.. أتدركين معنى هذه الإهانة؟

إنها تعرف.. وهذا ما يعقد الأمور أكثر.

ـ أنا آسفة.. ما قصدت.

ـ إذن.. تريدين أن تعود المياه إلى مجاريها السابقة. أتحاولين القول لي بطريقتك الملتوية، إن علينا أن نعود إلى سيرتنا الأولى؟

عندها فقط أدركت ما يعني.. فنظرت إليه للمرة الأولى منذ

دخلت الغرفة فإذا عيناه قاسيتان باردتان فأحست بالارتجاف:

ـ حسناً.. أنا.. لولا حادثة ريشار، لما كنا...

ـ لما تقاربنا هكذا؟ لا تخدعي نفسك. لقد حدث هذا في وقت مبكر قليلاً.. وهذا كل ما في الأمر.

لن تستطيع إنكار هذا.. لكن لماذا هذا الازدراء في صوته؟ لماذا لا يحتضنها ويقول لها هذا؟

ـ لا أستطيع البقاء هنا وايد.. ألا تفهم وضعي؟

ـ أنت قلقة مما قد يقوله الناس؟

لكن هذا ما لم يتبادر إلى ذهنها:

ـ لا شأن لكلام الناس بقراري إنما هناك ريشار وفرنسوا اللذين قد يفهمان الوضع على غير حاله.

أرادت أن تقول إن على طفليها ألا يفكرا في أنه سيدوم لهما. لكن لو ذكرت له هذا، لظنها تضغط عليه ليلزم نفسه بأكثر مما يرغب، وهذا ما تريد تجنبه بأي ثمن.

ـ فيم سيفكران؟ في أنني سأنافسهما على حبك؟

ـ وايد! ليس الأمر كما تقول. ريشار يقتضي رعاية خاصة في الفترة القادمة ولن يكون لدي وقت...

رد ببرود جارح:

ـ للحبيب؟ لقد قررت ما تريدين وضربت بعرض الحائط ما يريده الآخرون... لقد عادت لورنا إلى سابق عهدها من السلطة.. أعتقد أنك كنت تحفظين هذا الدور الصغير طوال الليل.. أيتها الخبيثة.. لقد حسبتك تحبينني وإذا بي أراك توصدين الباب دوني.

ـ وايد.. لا تقل هذا..

ـ أتعتقدين أنك قادرة على التلاعب بي متى شئت. وهل تحسبيني أسامحك؟ لم تكذبي حين قلت إنك حاولت استغلالي.. أليس كذلك؟ إلا أنني لم أدرك حرفية كلامك للأسف. كنت سعيدة

في الالتجاء إليّ طلباً للمؤاساة في المحن.. أردتني حتى أرعاك وعائلتك ليس إلا، ليس إلا... أليس كذلك أيتها «الملاك»؟

غرس الإهانة عميقاً حين استخدم الاسم الذي أطلقه عليها تلك الليلة في المطعم... وتابع:

ـ حسناً.. ماذا إن كنت غير مستعد على رحيلك؟ وماذا لو أردتك في فراشي؟

أحست لورنا بأنه يخلع قلبها من مكانه.. وأدركت أن الغضب هو الذي جعله متوحشاً.. وأن كرامته جرحت، فهو من يجب أن يقرر في النهاية.

أحست بدموع لاذعة تحرق عينيها:

ـ يجب أن أذهب...

وارتدت على عقبيها تركض خارجاً كحيوان جريح. لكنه أمسك بها وأدارها إليه بطريقة مهينة:

ـ ليس قبل أن تودعيني بشكل لائق.

أدركت ما يعني، فدفعته عنها صائحة:

ـ لا يا وايد!

ـ انتهى كل شيء لورنا؟.. كنت على حافة القبول سابقاً.

ـ كانت طريقة للتعبير عن امتناني.

ـ الامتنان لورنا؟ أوه.. لا.. لن أدعك تختبئين خلف هذه الحجة.. لقد أردتني.

ـ أيها الوغد المتعجرف.

كانت تحاول الدفاع عن نفسها ضد ما يحاول انتزاعه من اعتراف.

ـ أعجرفة هي أن يعرف الرجل متى تريده المرأة؟ أنت تحبينني.

ـ أحبك؟!

ـ نعم تحبينني.

وصمت للحظات ثقيلة خالته بعدها سيجبرها على الاعتراف بحبها وحاجتها إليه. صاحت بصمت داخلي: أجبرني على الاعتراف.. لكن عذاب صمته لا يرحم فكان أن قال أخيراً:

ـ أنت تريدينني، هل أثبت لك ذلك. دعيني أريك مدى..

حاولت التراجع.. فما يحاول فعله هو رغبة غاضبة وهي تخاف من جاذبيته الرهيبة... لكنها ضعفت، فقال:

ـ أترين.. أنت لا تريدين حقاً الذهاب.

وأخطأ حين ذكر هذه الكلمات، فلو قال إنه لا يريد منها أن تذهب لاستسلمت له. لكنه لم يفعل، بل حاول أن يجبرها على خيانة نفسها.. وضحكت بجنون:

ـ لا! أتعتقد أنك قادر على إخضاعي لا لشيء إلا لأنك تجعلني ضعيفة؟ لا أنت مخطىء لا تعرف ما أريده حقاً. أنا ملك ولديّ وهما ملكي. لا شيء أو أحد قد يغيّر هذا الواقع لذا لن أضحي أبداً بالحب الحقيقي أمام ما قد تعدني به.

وعندما تركها وخرج أجهشت بالبكاء، كان غضبه قد تلاشى أمام صدق عاطفتها. إلا أنه لم يفهم فعلاً ما كانت تقول.. وكانت خائفة جداً من أن تشرح له ما تعنيه، وما تعنيه أن هناك دائماً مكاناً في حياتها للمزيد من الحب وأن الحب الذي تكنه له حب قوي كحبها لولديها.

في الأسبوع التالي أحست بأنها مشوشة التفكير تحاول مجادلة نفسها في سريرها الضيق، وتعدها بأن هناك بصيص نور لا محالة.

حين حلّ موعد العودة إلى العمل وجدت أنها لم تقرر بعد ماذا ستفعل، أو أي تصرف ستتبنى.

أحست منذ أن خطت الخطوة الأولى إلى المكتب بالجو المشحون، فقد كان وايد تيرانت في أوج هيبته وجلاله. أحست بأنها قد دخلت «آلة الزمان» إذ كان انعزاله وتحفظه كاملاً، فهي ما عادت

بالنسبة له شخصية منفصلة بل رجعت امتداداً لطاولة مكتبه مرة أخرى، كان قلبها ينزف وهي تتلقى منه رسائل الصباح، فلا شيء تغير في المكتب.

لكن، لو كانت تشعر به، لعرفت أن وجودها يدفع معذبها إلى الدمار، فحين كانت تبتسم كان يود خانقاً لو يحطم البسمة عن شفتيها. أراد أن يكون عنيفاً معها، أراد أن ترمي نفسها عليه، حتى ينبذها بقساوة دون قيد أو شرط كما نبذته هي. اللعنة عليها! كيف لأي امرأة أن تكون ناعمة قابلة للعطب وفي الوقت ذاته قاسية لا تلين؟

وكان من حسن حظ وايد أن حدث وقف لإطلاق النار فقد اضطر للطيران إلى باريس لحضور مؤتمر صناعي، يمثل فيه شركته.. وسيعقد خلال الأسبوع الذي سيقضيه في السفر عدة اجتماعات.

قبل أن ينطلق إلى المطار، تحدث إلى لورنا للمرة الأولى منذ أسبوعين فأعطاها باختصار لائحة مهام تقوم بها في غيابه.. ثم صمت قبل أن يقول فجأة، وكأنه مدفوع بقوة ما:

ـ لم تنجح علاقتنا؟

أشاحت بوجهها عنه:

ـ لا.

لن نستطيع الاستمرار هكذا.. خاصة الآن:

ـ أتودين ترك العمل؟

لم تظهر عليه ملامح الانتصار بل التعب.. فأحست بقلبها ميتاً في صدرها.. لكن الأوان فات لإصلاح ذات البين.

ـ أكره أن أخسر سكرتيرة ماهرة. لكن ليس بيدي حيلة، سأسعى حتى أوظفك في إحدى الشركات لئلا تخسري شيئاً.

ـ لكنني لا أريد...

ـ دعيني أساعدك في هذا على الأقل! فلديك ولدان تعيليهما.

وما زلت تسددين ثمن البيت، لذا لا تقلقي بشأن الوظيفة القادمة فسأختار لك وظيفة ذات أجر مرتفع.

ولدان تعيلهما! وكيانها يموت. آه ليته يعرف. ربما يعرف يوماً ما. أما الآن فلا، إذ عليها بادئاً أن تعوّد نفسها على فكرة الابتعاد عنه إلى الأبد وعلى ما يتوجب عليها فعله.

لكن هذا يعني أنها لن تستطيع بعد الآن أن تقول له إنها تحبه.. فلن يصدق اعترافها، وهي لن تحاول إيجاد الأعذار.

عاد وايد من باريس يوم الجمعة، لكنه لم يقصد المكتب... وهذا ما جعل لورنا تحس بالامتنان، فلديها ما يكفي من شغل.

صباح السبت عندما أحست بالتعب، أصرّ إيفور على بقائها في المنزل. ثم اصطحب الولدان إلى مباراة كرة قدم سيشاركان بها. استلقت لورنا في الفراش.. ترتشف الشاي وتأكل البسكويت حتى تمكنت من السير وحدها دون أن تميد الأرض بها، كانت ما تزال مرتدية روبها المنزلي حين رن جرس الباب.

فتحت الباب وإذا بوايد تيرانت يحمل في يده باقة ضخمة من الورود الغريبة الألوان.. حدقت لورنا في الباقة مذهولة فمن عادة وايد أن يكون غامضاً حتى في الألوان التي يختارها... لكن ماذا يعني بهذه الورود الغريبة اللون؟ أيكون قد وجد لها وظيفة؟

ـ هل لي أن أدخل؟

أحست بأنها جزعة وقد بدا جزعها واضحاً، فقد شحب وجهها، وبدت دوائر سوداء حول عينيها. أما شعرها فكان خالياً من الحياة أو النشاط مثلها تماماً.

ارتدّت إلى الوراء، على مضض ثم لحقت به إلى المطبخ.

ـ هل أضع هذه في الماء؟ أهذه مزهرية؟

أخرج الوعاء من خزانة المطبخ ثم ملأه ماء ووضع فيه الورود:

ـ شكراً لك.

ـ تذكرني هذه الورود بك، لها ألوان مميزة، ورائحة زكية. وهي إلى ذلك، جميلة مثلك حتى يكاد ينسى المرء أن لها أشواكاً. أترين؟

مد إصبعه ليريها وخزة دامية فأحست برغبة عارمة في أن تأخذ يده بين يديها وتقبّل مكان الدم حتى يختفي.

ـ لما.. لماذا جئت؟

ـ اعتقدت أنه آن أوان الكلام في منطقتك بعد أن فشلنا في منطقتي. وكنت أعلم أنك وحيدة فقد ذهبت لمشاهدة مباراة كرة القدم مع مايكل.

ـ لترى التوأمين وهما يلعبان؟

ابتسم؟

ـ ولمَ لا؟ لقد وعدتهما بهذا. ولولا انشغالك بحمايتهما مني، وحمايتي منهما، لاكتشفت نجاح علاقتنا.

ـ لم أكن أفعل هذا.. ربما قليلاً.. أعتقد أنني أحسست بالغيرة قليلاً.

ـ الغيرة؟ من ولديك؟

ـ أنا.. حسناً..

ـ ألا تشعرين بالغباء، لاعترافك بالغيرة من طفل؟ أعتقد أنك تفهمين غيرتي من مايكل.

إنه يلاطفها.. إنه يثير أملاً ليس من حقه أن يثيره، ابتعدت عنه لتسند نفسها إلى حافة الطاولة، وأحست بالدم يتصاعد خبط عشواء في جسدها.. فراحت تتوسل بينها وبين نفسها: أرجوك.. أرجوك يا الله.. لا تُذلني أمامه. ليس وقد بدأ بالتفاهم مع الأولاد.

ـ لورنا؟ هل أنت بخير؟

ـ أنا.. لا أشعر بأنني على ما يرام.. لهذا لم أذهب لمشاهدة ولداي وهما يلعبان الكرة.. يبدو أنني سأصاب بشيء ما.

ـ إنها طريقة مبتذلة للخلاص مني لورنا.. أليس كذلك؟

www.elromancia.com

- أرجوك اذهب..

شهقت وهي تشعر بذراعيه حول كتفيها.

- حسن.. لا بأس عليك... هيا اقعدي، فسأحضر لك كأس ماء.

ثم لم يلبث أن قعد قربها متجهماً وراح يتأملها وهي تحتسي الماء.

- هل أخبرك إيفور شيئاً..؟

- لا.. إنه صامت كالقبر.. ريشار وفرنسوا هما اللذان أخبراني عما تعانينه وتكابدينه من حزن لأنك ستتركين العمل. كانا قلقين عليك.

- اوه.. يا إلهي.. لم أقصد أن أقلقهما.. لكنهما سمعا حديثي مع إيفور.

- وأنا لورنا..! لماذا لم تقولي إنك ترفضين ترك العمل؟

- ما كنت لأريك حزني.

- أعتقد أنك كنت تخططين لشيء ما.

- عمّ تتكلم؟ لا أفهم شيئاً!

- كاذبة! ألم تفكري في إيقاعي بفخ الزواج.

أحست بلمسة على وجنتها وكأنها لمسة جناح فراشة:

- قلت لك إنني سأعتني بك بنفسي، ولديّ القدرة على هذا، لكنني لم أستخدم هذه القدرات بعد..

- لم أفكر قط في أن أضغط عليك حتى تتزوجني.

- لكنني فكرت فيه حتى قبل أن تقطعي خيط الوصل الذي كان بيننا.

- لكنك تريد مني الرحيل وترك العمل.

- كانت طباعي تتغلب على تعقلي كما أنه لم يكن لديّ فكرة عما يدور في رأسك. ظننت أننا توصلنا إلى نوع من التفاهم، لكنني فجأة

رأيتك تتذرعين بالأعذار القديمة... وهذا ما أشعل غضبي، وأفقدني زمام أعصابي. ثم حين واجهتني ببرود في المكتب، ظننت أنني فقدتك حقاً.

حدقت فيه لورنا وهي لا تصدق. أردف:

- كنت أجهل السبيل إلى التقرب منك مجدداً وكانت كرامتي ترفض التوسل، وقررت أن أبدأ من جديد... فعندما كنت في باريس قررت أن أعيد الكرّة هذه المرة بشكل ملائم. قلت لنفسي سأتودد إليها وأخطب ودها، لكن عندما أخبرني الصغيران عن حزنك وعن اعترافك بحبي أمام إيفور وجدت أنني لن أتريث لحظة أخرى.

همست بعجز:

- وايد..

لن تستطيع الآن أبداً إنكار حبها.

- حين خلوت بنفسي في غرفتي في الفندق، أدركت أن حياتي ستكون رهيبة بدونك... وفكرت، إذا كنت أخشى أن أعترف لها بحبي فقد تكون هي أيضاً مثلي، خاصة بعد الأقوال السخيفة التي قلتها عن الزواج. فأنت ممن لا يطالب بما هو أقل من الزواج.. ألست مصيباً في حكمي؟

خشيت أن تتحرك فيتبدد هذا الحلم الرائع... لكنه وقف يشدها إليه:

- لورنا.. اوه لورنا.. أريد الزواج منك، أريد أن تحملي أطفالي في أحشائك، أريد أن أراقب بطنك تنتفخ، أريد أن أشعر بابنتي ترفسك. كما أريد أن أحتضنك حين تتألمين وأن أشاركك حياتك. أتشاركينني هذه الحياة، وهذا الحلم لورنا؟ أتعطيني بعض حبك مقابل حبي لك؟ أمهليني بعض الوقت لأثبت لك مقدرتي على إسعادك.

- لقد أسعدتني وانتهى الأمر.

www.elromancia.com

تمتم وقد اشتدت ذراعه حولها:

- أنا لم أبدأ بعد.. هل ستحبين طفلتي كما تحبين ريشار وفرنسوا؟ هل ستطعمينها بنفسك وترضعينها؟

- سأحبها كما أحبك.

أمسك بوجهها بين يديه وتمتم:

- الشكر لله! لماذا حاولت جاهدة إبعادي عنك لورنا؟

- خلتك لا تريد إلا علاقة عابرة.. وما كنت لأعتقد أنك ممن قد يقبل عائلة «جاهزة».

- لم أفكر في هذا الأمر حتى تعرفت إلى التوأمين. لكنني أحببتك لورنا.. أحببت كل ما فيك دون استثناء. لقد هزمتني يا سكرتيرتي المزيفة.. في لحظة كنت قطعة من أثاث المكتب، وفي التالية كنت تتسلقين الجدران. كنت غامضة بشكل لذيذ، ووجدتك أكثر لذة في تعقيداتك.

- هل غضبت حين اكتشفت أمر التوأمين؟

هزها بلطف:

- في وقت لاحق نعم. أما حين رأيتهما للمرة الأولى فصدمت صدمة كبيرة لم أستطع معها التفكير في أي شيء. وجدت أن تصوراتي عنك مخطئة، ثم أحسست بأنني مغشوش في شيء ما... لكنني ارتبكت حين أحسست بالغيرة منك. كنت تعانين من ألم لم أستطع مؤازرتك فيه إذ لم يكن لي حق في مساندتك لقد شعرت حينذاك بأنني نكرة.

- وايد تيرانت.. نكرة؟

ضحكت مرتجفة من هذا التصور، فمرر يده عليها ليؤكد لنفسه أنها ما تزال هناك.

- أجل.. في تلك اللحظة علمت أنني أحبك. لكن بدلاً من أن يسهل هذا العلم الأمور جعلها أصعب. وجدت نفسي أكره عائلتك

لأنها عرفتك وأحبتك قبلي. آه لو تعلمين ما أشد ما كانت عليه سعادتي حين التجأت إليّ تلك الليلة. ظننت أنني قادر على أن أسيطر عليك بالحب. ظننت أنني قادر على دفعك إلى حبي بأن أجعلك تعتمدين عليّ... لكنني أخفتك. كنت عرضة لكافة أنواع الأخطار إلا أنك من الداخل كنت كالفولاذ، لأنك معتادة على مواجهة كل شيء، على طريقتك الخاصة، من دون دعمي. وحين قلت إنك راحلة، أحسست بأن أسوأ الكوابيس قد وقعت على رأسي. فأحببتك، وكرهتك، في الوقت ذاته.

ابتسمت له:

- أوه.. إني أعرف هذا الشعور.

- قد أكون جباراً ظالماً حين أريد، أليس كذلك؟

- هذا يقلّل من قدرك سيد تيرانت، فأنا لم أكن أرغب عندما تركت إلا بأن تحتضنني بين ذراعيك وتقول إنك تحبني وإنك لا تريد أن أذهب.

- آه ليتني فعلت.. بل ليتك تعرفين مدى اشتياقي إليك وإلى ريشار وفرنسوا، لأنهما جزء منك، جزء ممن أحب... أتمانعين في حمل طفل مني يكون رباطاً آخر وثيقاً إضافة إلى الزواج، فأنا لا أشعر بالأمان الكافي، وأريد المزيد من الروابط.

- قد تكون محظوظاً فقد أحمل توأماً، لأن إنجاب التوائم وراثي. ولم يكن هناك شيء مماثل في عائلة جاك.

بدا الذهول على وايد لحظة، ثم التوى فمه:

- فتاتان صغيرتان! عظيم.. عندها سيكون لكل من ريشار وفرنسوا شقيقة صغيرة وأنت، لورنا هاركوت تورفيل تيرانت، سيكون لك.. أنا.

* * *